

سياسة مملكة بيت المقدس الخارجية تجاه البابوية
وبيزنطة, والغرب الأوربي, والإمارات الصليبية
خلال عهد الملك بلدوين الرابع
(1174 – 1185م)

د/ ياسر كامل محمود أحمد
كلية الآداب – جامعة أسيوط

سياسة مملكة بيت المقدس الخارجية تجاه البابوية،
وبيزنطة، والغرب الأوروبي، والإمارات الصليبية خلال
عهد الملك بلدوين الرابع (1174-1185م)

يتناول هذا الفصل السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الرابع تجاه القوى الخارجية كالبابوية، وبيزنطة، والغرب الأوروبي، وبقية الإمارات الصليبية، ويناقش الفصل مدى تأثير المملكة بهذه السياسة سواء بالسلب أو الإيجاب. الواقع أن مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع شهدت تراجعاً واضحاً في إقبال الغرب الأوروبي على تقديم المساعدات لها، وذلك لعدة أسباب منها: النزاعات والمحن التي مرت بها المملكة الصليبية، بالإضافة إلى ذلك فإن المملكة خلال فترة حكم بلدوين الرابع لم تعد يُنظر إليها بأنها أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً، كذلك فإن الامتيازات التي كانت تُمنح للقادمين من الغرب تقلصت في عهد بلدوين الرابع (1). بالإضافة إلى انشغال الغرب الأوروبي بنزاعاته. ولما كان بقاء المملكة الصليبية في الشرق مرهوناً بالمساعدات الخارجية التي كانت تأتي من الغرب الأوروبي، فقد تركزت معظم سياسة بلدوين الرابع الخارجية في محاولة إقامة علاقات وتحالفات مع قادة وهيئات الغرب الأوروبي وفي مقدمتها البابوية من أجل الحفاظ على المملكة الصليبية.

في بداية الحركة الصليبية، وُصفت العلاقة بين مملكة بيت المقدس والبابوية بأنها علاقة قوية وذلك لعدة اعتبارات أولها: أن مملكة بيت المقدس وغيرها من الكيانات الصليبية تأسست بدعوة من البابوية وبمباركتها (2)، وثانيها أن المملكة كانت شديدة الارتباط بالكنيسة، لهذا لم يعترف ملوك بيت المقدس لأحد بالسلطة سوى للبابوية التي وجهت الجيوش وتحملت مسئولية إقامة مملكة صليبية في الشرق (3). ولكن هذه العلاقة لم تلبث أن أصابها بعض الفتور عقب فشل الحملة الصليبية الثانية (1147-1149م)، حيث

صارت المملكة عبئاً ثقيلاً يرهق كاهل البابوية (4).

وقد ظهر ذلك بوضوح أثناء فترة بابوية اسكندر الثالث (7 سبتمبر 1159-30 أغسطس 1181م) والذي أقيمت على عاتقه مهمة مساعدة المملكة الصليبية في الشرق اللاتيني، والواقع أن مهمة البابا تلك لم تكن بسيطة وسهلة، حيث كان ميراث الحملة الصليبية الثانية لا يزال يُلقي بظلاله المعتمة على المملكة الصليبية (5).

ثم لم تلبث البابوية أن انشغلت بنزاعها مع الإمبراطورية حول التقليد العلماني، وقد اشتد هذا النزاع بين البابا إسكندر الثالث وفردريك الأول برباروسا (Fredrick I Barbarossa إمبراطور ألمانيا 1152 - 1190م) حيث رفض الإمبراطور فردريك الاعتراف بابابوية اسكندر الثالث، وقد انشغلت البابوية في هذا النزاع طيلة الفترة من عام 1159م وحتى عام 1177م، مما جعل الأمور في الغرب الأوربي تزداد تعقيداً (6)، وقد أعاق هذا الأمر البابا اسكندر الثالث في الدعوة لحملة صليبية جديدة لإنقاذ مملكة بيت المقدس ومساعدة ملكها بلدوين الرابع من هجمات المسلمين (7).

وعلى الرغم من انشغال البابا اسكندر الثالث بمشاكله، إلا أن ذلك لم يمنعه أن يتابع سير الأوضاع في المملكة الصليبية، حيث أبدى البابا قلقاً متزايداً بشأن الحالة السيئة التي تعيشها المملكة الصليبية، ومن ثم طلب البابا من أرنولد من تورجا (Arnold of Toroga) مقدم الداوية أن يقدم له تقارير موثقة ومستقلة حول أوضاع المملكة الصليبية، وملكها المريض بلدوين الرابع (8).

من خلال هذه التقارير علم البابا اسكندر الثالث في سنة 1174م أن مملكة بيت المقدس، صارت في حالة سيئة، ومهددة بالانهيار بسبب النزاعات التي ثارت في المملكة من أجل الوصول إلى منصب الوصاية (9)، ورغم ذلك بدت هناك بادرة أمل لإنقاذ المملكة الصليبية، تمثلت في محاولة البابا اسكندر الثالث عقد صلح بين لويس السابع ملك فرنسا ونظيره هنري الثاني ملك إنجلترا. لهذا أرسل البابا مندوبه الكاردينال بيترأوف سان جريسوجونو (Peter of San Grisogono) لمحاولة عقد صلح بين

الحروب الصليبية - حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى

هذين العاهلين الكبيرين، وإقناعهما بأن عداوتهما هذه من شأنها أن تضر ببقاء المملكة الصليبية في الشرق (10)

وفي نهاية الأمر؛ نجح البابا في مساعيه، حيث تم التصالح بين ملكي فرنسا وإنجلترا، وبمبادرة من البابوية عقد الملكان معاهدة في الخامس والعشرين من أغسطس عام 1177م اتفقا فيها على القيام بحملة صليبية مشتركة ضد المسلمين ومساعدة الملك بلدوين الرابع (11). ولكن لأسباب سيفصلها الباحث في موضعها، لم يخرج هذين العاهلين الكبيرين في حملة لمساعدة المملكة الصليبية.

إزاء ذلك واصل البابا إسكندر الثالث توجيه نداءاته المتكررة لحث ملوك وأمراء الغرب الأوروبي على القيام بحملة صليبية لإنقاذ مملكة بيت المقدس المتدهورة، إلا أن الرأي العام الغربي لم يبد اهتماماً يذكر لهذه النداءات (12) ولم يلب دعوة البابا غير فيليب كونت فلاندرز، فهو الأمير الوحيد الذي قام بحملة لمساعدة المملكة الصليبية وملكها المجذوم سنة 1177م (13) والتي عرفت بالحملة الفلمنكية (14).

وبهذا لم تتلق البابوية رداً مطمئناً من الغرب الأوروبي لاستنجادها المتكرر، والواضح أن السبب في فنور ملوك وأمراء الغرب الأوروبي كان مبعثه هذا الوضع الحرج الذي كانت تعانيه البابوية آنذاك في الغرب الأوروبي.

من جانبه لم يكف الملك بلدوين الرابع عن محاولة الحصول على المساعدة من البابوية. ولذلك في سنة 1179م أرسل الملك بلدوين الرابع عدداً من رجال الدين على رأسهم وليم الصوري رئيس أساقفة صور للمشاركة في مجمع اللاتيران الثالث **Third Lateran Council** الذي عقده البابا إسكندر الثالث في التاسع والعشرين من مارس سنة 1179م (15)، ودون أن نخوض في تفاصيل هذا المجمع، فإن ما يهمنا فيه أن السفارة الصليبية عرضت على المجمع باستفاضة الخطر الكبير الذي يتهدد المملكة الصليبية، بعد تدهور أحوال الملك بلدوين الرابع الصحية، لذلك خص مجمع اللاتيران الثالث المملكة الصليبية بعدة قرارات، أهمها القرار الخامس والعشرين والذي نص على إصدار قرار الحرمان

الحروب الصليبية - حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى

الكنسي، ومصادرة الأملاك والحرمان الشخصي لكل من يزود المسلمين بالأسلحة، ولوازم القتال كالخشب الذي تصنع منه السفن الحربية، كما طالب المجمع أمراء المقاطعات الأوربية وكذلك قناصل الدول في الشرق بمصادرة ممتلكات من يقوم بهذا العمل وأن يعمل معاملة العبيد، وهو ما يعنى تحريم التجارة مع المسلمين، وبخاصة في أدوات الحرب(16).

في الواقع لا نعرف فيما إذا كان أعضاء الوفد الصليبي- الذي حضر المجمع - هم الذين دفعوا البابا اسكندر الثالث إلى اتخاذ ذلك القرار، أم الجنوية الذين وقعوا معاهدة مع بلدوين الرابع سنة 1177م، واشترطوا عليه أن يكون لهم ثلث إيراد مصر في حالة الاستيلاء عليها، ورداً على هذه المعاهدة وقع البنادقة معاهدة تجارية مع صلاح الدين الذي منحهم حقوقاً وامتيازات في مصر في سنة 1177م (17)، على أن الأهم من ذلك هو أنه لم تنظم أية مساعدة عسكرية لمملكة بيت المقدس(18).

فعلى الرغم من قرارات البابوية المتشددة في وقف تعامل الصليبيين مع المسلمين إلا أن حب الربح الوفير حمل شعوب أوروبا على مخالفة قرارات البابا، فكانوا يتاجرون مع المسلمين في صنوف التجارة بما فيها أدوات القتال والحرب مستخدمين كل الأساليب والحيل التجارية لإيصال بضائعهم سراً إلى الشرق الإسلامي وكانوا يعودون إلى مدتهم وهم مرتاحين الضمير حسب تعبير مارينو سانوتو(19).

ومع ذلك لم تتوقف دعوات البابا اسكندر الثالث عند هذه المحاولة بل واصل نشاطاته في الدعوة إلى حملة صليبية إلى الشرق، وظهر ذلك من خلال خطابه المؤرخ بالسادس عشر من يناير 1181م، حيث وجه منشوراً كبيراً إلى زعماء الغرب الأوربي وبخاصة الأمراء العلمانيين، ناشدهم بإعداد حملة لإنقاذ المملكة الصليبية(20). وفي هذا المنشور أشار البابا إلى الأخبار التي وصلتته من مملكة بيت المقدس من خلال التقرير المشترك للحجاج المسافرين، والذي جاء فيه: "لقد أزعج قلبنا، وقلب أخوتنا ما آل إليه وضع مملكة بيت المقدس من سوء بسبب النزاعات والصراعات التي تنشب بين نبلاء المملكة.. ونحن يساورنا القلق أن تؤدي هذه النزاعات إلى سقوط المملكة في يد الأعداء(21).

وعلى الرغم من سوء حالة المملكة الصليبية فإن البعض يرى أن الذي أزعج البابا اسكندر الثالث ليس الانقسامات التي أصابت المملكة، ولكن حالة الملك بلدوين الرابع الصحية ويتبين ذلك من خلال رسالة البابا اسكندر الثالث والتي جاء فيها: "أن الملك بلدوين الرابع ليس مثل هذا الرجل الذي يمكنه أن يحكم المملكة، فهو مصاب بشدة بمرض عضال من قبل الرب، كما نعتقد أنه بالكاد قادر على تحمل العذاب المستمر في جسمه(22).

على الرغم من أن رسالة اسكندر الثالث السابقة لا تخلو من تجريح في قدرة بلدوين الرابع على الحكم، إلا أن ذلك لم يثن الملك بلدوين الرابع عن تكرار طلب المساعدة من البابوية مرة أخرى. حيث أرسل الملك بلدوين الرابع في أواخر سنة 1181م وفداً خاصاً رفيع المستوى لإبلاغ البابوية، والغرب الأوربي بخطورة الموقف داخل المملكة، وكان هذا الوفد تحت رئاسة هرقل بطريك بيت المقدس، وأرنولد من تورجا **Arnold of Toroga** مقدم الداوية وروجر من مولينيه مقدم الإسبتارية، في ذلك الوقت كان قد مات البابا اسكندر الثالث في أغسطس 1181م، وقابل هذا الوفد البابا الجديد لوسيوست الثالث(1181-1185م) في فيرونا(Verona) (23).

ورداً على طلب المساعدة الذي تقدم به الصليبيون سنة 1181م، قام البابا لوسيوست الثالث بإرسال رسالة إلى هنري الثاني ملك إنجلترا، يطلب منه ضرورة الإسراع لإنقاذ مملكة بيت المقدس، التي باتت على وشك السقوط في يد صلاح الدين(24)، لكن الملك هنري الثاني رفض العرض متعللاً بخطورة الموقف في بلده إنجلترا(25).

ولما أيقنت البابوية بعدم خروج حملة صليبية لمساعدة الملك بلدوين الرابع ومملكته، بدأت البابوية تعيد جدولة مخططاتها العسكرية الاستعمارية والتحول إلى الدبلوماسية في تنفيذ فكرة الحروب الصليبية، لعلها تحافظ على الوجود الصليبي في بلاد الشام عامة وفي مملكة بيت المقدس بصفة خاصة، لذلك لم تجد البابوية غضاضة في الاتصال مع حكام مصر وبلاد الشام الأيوبيين، وكان البابا لوسيوست الثالث أول الباباوات الذين اتصلوا بصلاح الدين

الأيوبي، بعد أن أدرك مدى خطورة توحيد الجبهة الإسلامية في مصر وبلاد الشام على الكيان الصليبي في المنطقة، وبخاصة أن البابوية لم تكن قادرة آنذاك على إرسال حملة صليبية جديدة (26) ولذلك أرسل البابا لوسيوست الثالث عام 1182م رسالة إلى العادل سيف الدين الأيوبي شقيق صلاح الدين الأيوبي ونائبه في مصر، وفيها طلب البابا من العادل عقد هدنة سلام بين مملكة بيت المقدس وبين مصر يتم فيها إطلاق سراح الأسرى الصليبيين وبخاصة أسرى مملكة بيت المقدس، ورد العادل على البابا برسالة مماثلة في الحادي والثلاثين من مارس سنة 1183م وأخبره بأنه تلقى رسالته، وأنه عرض على صلاح الدين إطلاق الأسرى الصليبيين، وأن صلاح الدين وافق على هذا المطلب بشرط أن يخضع المسيحيون في القدس وصور لأوامر البابا وبخاصة إقامة السلام، وإطلاق سراح أسرى المسلمين الموجودين في السجون الصليبية، وفي ختام الرسالة ذكر العادل أنه إذا لم يطع الصليبيين أوامر البابا بخصوص السلام، فإن صلاح الدين غير مسئول عما يحدث بعد ذلك "أما إذا خالفكم المسيحيون، ولم يطيعوا أوامركم، فنحن أبرياء من كل إجراء تقوم به معهم لإحلال العدل وليعطي الله كل منا حسب أعماله" (27).

كما أرسل البابا لوسيوست الثالث رسالة إلى صلاح الدين طلب فيها ضرورة تبادل الأسرى، ورد صلاح الدين على البابا برسالة سنة 1183م ذكر له فيها أنه سعيد بتحقيق السلام، وتبادل الأسرى بين الصليبيين والمسلمين، وأضاف صلاح الدين أن الأسرى الصليبيين عند المسلمين هم من النبلاء أما أسرى المسلمين هم من طبقة العامة، وأن الذي عنده أسرى أقل قيمة يعوض الطرف الآخر (28).

المرجح أن صلاح الدين وافق على عقد هذه الهدنة تجنباً لأي رد فعل بابوي يتمثل بالدعوة لقيام حملة صليبية جديدة تعرقل سير مخطط صلاح الدين في توحيد الجبهة الصليبية (29).

أما الملك بلدوين الرابع فقد بعث برسالة إلى البابا لوسيوست الثالث وجميع ملوك وأمراء الغرب الأيوبي في سنة 1184م يخبرهم فيها أن صلاح الدين قد هاجم حدود مملكة

بيت المقدس خلال التاسع أو العاشر من شهر يوليو من العام نفسه ولمدة ثلاثة أسابيع متواصلة، وأنه تمكن من الاستيلاء على حصن فوريبيه، وأنه اتجه بعد ذلك إلى يزريعيل وقتل من بها، وأسر الكثيرين أيضاً، وأنه هاجم قلعة الداوية التي تسمى بلفوار **Belverium** وأسر من بها(30).

ردت البابوية على رسالة الملك بلدوين الرابع بأن فرض البابا لوسيوس الثالث ضريبة على الكهنة لإعداد المال اللازم للقيام بحملة صليبية لمساعدة الملك المجذوم ومملكته المنهارة، غير أن هذا المشروع لم يتم في حياة الملك بلدوين الرابع(31). وبعد فرض هذه الضريبة انشغل البابا لوسيوس بشؤون إيطاليا، ولم يبد أي اهتمام لمملكة بيت المقدس ولا لملكها بلدوين الرابع(32). وهكذا لم تستطع البابوية لعب دور حاسم تجاه المملكة خلال عهد الملك بلدوين الرابع مقارنة بالدور الذي لعبته قبل عهد بلدوين الرابع، ومن بعده أيضاً. فيما يتعلق بعلاقة المملكة ببيزنطة، فوسط عجز البابوية عن إرسال حملة صليبية لإنقاذ المملكة الصليبية، أدرك الملك بلدوين الرابع أن البابوية لن تقدم له المساعدة المرجوة لهذا بدأ في البحث عن حلفاء آخرين، والبديل الطبيعي كان الإمبراطورية البيزنطية، القوة المسيحية الأكبر في شرق البحر الأبيض المتوسط(33)، وسعى الملك بلدوين الرابع لالتماس مساعدتها في وقف هجمات المسلمين في هذا الوقت بالذات بعدما تغيرت موازين القوى لصالح المسلمين، وثمة عامل مهم آخر جعل بلدوين يتطلع إلى بيزنطة وهو احتياجه إلى أسطول حربي يمكن به تخفيف الضغط على المملكة وذلك بمهاجمة مصر، وقد رأى الملك بلدوين الرابع أن قيام الإمبراطورية البيزنطية بتقديم هذا الأسطول سيكون من أجل الخدمات التي تقدمها بيزنطة للمملكة الصليبية وفرصة يجب على الصليبيين اغتنامها(34). غير أن اغتنام هذه الفرص كان يتوقف على أحوال كلاً من المملكة الصليبية والإمبراطورية البيزنطية، وعلى نوع الحكومة فيهما(35).

كانت سياسة الملك بلدوين الرابع تجاه بيزنطة تتفاوت طبقاً للحزب الذي يتولى دفة القيادة في المملكة الصليبية(36). حيث كان حزب البارونات الوطنيين يميل إلى

التحالف مع بيزنطة، في حين كان حزب القادمين الجدد لا يجذ العمل مع بيزنطة كما سيتبين خلال ذلك العرض.

بالنسبة للحزب الأول، فقد كان أول من تولى الوصاية على بلدوين الرابع ممثلاً في زعيمه ريموند الثالث كونت طرابلس الذي تولى الوصاية خلال الفترة (1174-1176م)، وكان هذا الحزب يضم أيضاً، رينالد من صيدا، والكونستابل همفري دي تورون، وبالبيان من ايلين وأخوه بلدوين.

كان معظم أعضاء هذا الحزب من ذوي الميول البيزنطية، وبالنسبة لريموند الثالث فكانت ميوله تجاه بيزنطة غير واضحة، إذ لدينا رأيين متناقضين، الأول يتبناه المؤرخ هاملتون (37). والذي يرى أن ميول ريموند الثالث تجاه بيزنطة كانت عدائية واستدل على ذلك بالموقف الذي وقع عام 1160م حينما رفض مانويل الأول الزواج من ميليسند أخت ريموند (38). وانتقاماً من مانويل قام ريموند الثالث بتخريب سواحل الإمبراطورية ونهبها، رداً على الإهانة التي لحقت بأخته (39). في حين يرى المؤرخ ليلي Lilie أن هذه المسألة مرت عليها سنوات كثيرة، وأنها لم تؤثر على ريموند الثالث (40). ويضيف Lilie أن ريموند اتبع سياسة صديقة تجاه بيزنطة أثناء فترة وصايته (41). لكن الباحث يميل إلى الأخذ برأي المؤرخ هاملتون، لعدة اعتبارات أهمها: أن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول حينما اعتزم محاربة السلاجقة سنة 1175م أرسل يطلب المساعدة من المملكة الصليبية، ولكن المملكة بقيادة بلدوين الرابع ووصيه ريموند الثالث لم يقدموا المساعدة لبيزنطة، وربما كان ريموند الثالث السبب في ذلك (42). والاعتبار الآخر، وهو أن ريموند الثالث كان ضمن المعارضين للحملة الصليبية البيزنطية سنة 1177م .

على أية حال، فإذا نحينا ريموند الثالث جانباً لعدم وضوح ميوله الشخصية فإن بقية أعضاء حزبه (حزب البارونات الوطنيين) كانوا يعتبرون الاتصال ببيزنطة أمراً ضرورياً في ذلك الوقت، فبالنسبة لبيت ابلين فقد بدا أنهم بيزنطيون الولاء، ومما يعزز ذلك أنه في سنة 1177م تزوج بالبيان ابلين من ماريه كومنين أرملة عموري الأول، وبذلك صار له مع

مانويل مصاهرة ونسب، أما الكونستابل همفري من تورون فكان مبعوث المملكة إلى البلاط البيزنطي منذ عهد الملك عموري. ويضاف إلى هذا الحزب شخص آخر وهو وليم الصوري، باعتبار أنه كان أول من اتصل مباشرة مع الدوائر البيزنطية سنة 1168م، ومرة أخرى في سنة 1179-1180م، وأقام في القسطنطينية مدة من الوقت قاد فيها المفاوضات مع البيزنطيين، وكانت آراؤه تمثل بوضوح حزب البارونات الوطنيين (43).

وعلى الجانب الآخر كان حزب القادمين الجدد، والذي يضم رينو دي شاتيون، وجي لوزيان، وأخوه أمليك وأجنيس كورتيناى أم الملك، وأخوها جوسلين الثالث. وكان هذا الحزب، ولأسباب غير واضحة يعارض الاتصال مع بيزنطة. بالنسبة لرينو دي شاتيون فكان قد غزا قبرص التابعة لبيزنطة، وقد أذل من قبل الإمبراطور مانويل سنة 1159م. أما بالنسبة لموقف الكونتيسة آجنيس المعادي لبيزنطة، فرمما يفسره ماضيها، حيث تم تطلقها من عموري، وتزوج عموري بعدها من الأميرة البيزنطية ماريه كومنين، وبذلك ثارت عداوة بين الزوجتين. أما بالنسبة لموقف أمليك وجي لوزيان، وجوسلين الثالث، فليس هناك دوافع معلنة لعداوتهم لبيزنطة (44).

هذا بالنسبة لأحوال مملكة بيت المقدس، أما بالنسبة لبيزنطة، فإن حكومتها كانت مهياة لإقامة علاقة تحالفه مع الصليبيين وذلك لوجود مانويل الأول على العرش والذي وُصف بأنه "لاتيني الطابع محباً للصليبيين" (45).

على أية حال، فقد بدأت علاقة بلدوين الرابع بمانويل كومنين عندما أرسل الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول يطلب مساعدة قوات مملكة بيت المقدس في حروبه ضد السلاجقة، وذلك سنة 1175م، غير أن الملك بلدوين الرابع لم يحرك قواته لمساعدة بيزنطة، وقيل أن ذلك تم بإيعاز من ريموند الثالث الذي كان وصياً على بلدوين الرابع آنذاك (46)، أما سنة الوصاية الثانية لريموند الثالث (1176م) فقد خلعت من الأحداث الهامة بالنسبة للعلاقة الخارجية مع بيزنطة على أن أهم ما جرى في المملكة أنه في نهاية تلك السنة اضطر الوصي ريموند الثالث إلى التقاعد، وانفرد بلدوين الرابع بالحكم بعد أن وصل عمره إلى السن

القانوني للحكم(47).

على الجانب الآخر,, كانت بيزنطة مشغولة بالنزاع مع ألمانيا, والمملكة النورمانية, والبندقية(48). ثم تلقت الهزيمة الفادحة على يد السلاجقة في معركة ميروكيفالون Myriokephalon في سبتمبر عام 1176م(49).

والواقع أن كارثة ميروكيفالون بلغت فاجعتها عند الصليبيين ما بلغته عند بيزنطة (50). فعلى الرغم من افتقاد الثقة المتبادلة بين الصليبيين والبيزنطيين، فإن الصليبيين كانوا يعلمون أن بقاء الإمبراطورية البيزنطية يعتبر حائط صد أمام انتصارات المسلمين بقيادة صلاح الدين(51). وعلى الرغم من أن جيش مانويل كومنين تعرض للدمار، فإن أسطوله كان لا يزال قوياً، وبوسع بيزنطة أن تستخدمه لمساعدة الصليبيين، ولذلك في صيف عام 1177م وعد مانويل كومنين بإرسال أسطوله ليساند الملك بلدوين الرابع في هجومه على مصر(52).

والواقع أن سياسة مانويل آنذاك كانت تقوم على تحقيق شقين: الأول وهو التحكم في طريق الحملات الصليبية عبر آسيا الصغرى، والثاني وهو إرسال حملة بيزنطية صليبية مشتركة للاستيلاء على مصر. لكن مانويل فشل في تحقيق الشق الأول من سياسته بعد الهزيمة التي تلقاها جيشه على يد السلاجقة سنة 1176م، ولذلك وجد مانويل أنه من الأسلم أن يعوض ذلك الفشل بالإسراع بالبدا في تنفيذ الشق الثاني من سياسته وهو إرسال حملة صليبية بيزنطية على مصر، وقد كان من الممكن لهذه الحملة أن تحقق أمل الطرفين، بتعويض خسائر البيزنطيين في آسيا الصغرى من ناحية، وكذلك تعويض خسائر الصليبيين على يد صلاح الدين في مصر وسوريا من ناحية أخرى(53). كذلك فإن بيزنطة كانت تتخوف من أن تسقط مصر في يد نورمان صقلية. فلو أن النورماندين سيطروا على الموانئ المصرية، لأدى ذلك إلى زيادة قوتهم، وصاروا أيضاً في موضع يؤدي التجارة البيزنطية، وحرمان القوات البيزنطية في الوقت نفسه من مساعدات الأسطول الغربي. كما كان واضحاً أن فردريك ملك ألمانيا معني بعقد سلام مع النورمانيين، الأمر الذي يجعل نورمان صقلية أحرار

في استئناف عدائهم التقليدي لبيزنطة(54).

لهذا يمكن القول إن غزو مصر كان يصب في المصلحة السياسية لبيزنطة، ولعل ما يدل على صحة ذلك ما ذكره وليم الصوري من أن القادة البيزنطيين صرحوا أنه من بين الأسباب التي دفعتهم للمشاركة في الحملة الصليبية على مصر هو العمل على زيادة مجد الإمبراطور البيزنطي(55). وبخاصة بعد النكبة التي تعرض لها الجيش الإمبراطوري في ميروكيفالون سنة 1176م .

ويؤكد ذلك أيضا مجريات الأحداث التي سبقت إعداد هذه الحملة. حيث سعى الإمبراطور مانويل إلى التماس مساعدة البابوية في حروبه ضد السلاجقة , ففي خطاب مؤرخ بالتاسع والعشرين من يناير 1176م بعث به مانويل إلى البابا اسكندر الثالث يطلب فيه من البابوية إرسال مساعدات عاجلة له تعيينه على الحرب ضد المسلمين (56). ودون تأخير, أجاب البابا طلبه. إذ كان يهمة الإبقاء على صداقة مانويل, واستخدامه في مواجهة عدوه فردريك الأول Frederick I إمبراطور ألمانيا (1125-1190م) لكن الأمور

تبدلت بعدما تم تشكيل العصبة اللومباردية(57) Lombard League

إذ أصبح البابا اسكندر الثالث أقل اعتمادا على مانويل, وبعد عقد صلح البندقية عام 1177م وهزيمة مانويل في ميروكيفالون, تلاشى أي أمل حقيقي في وجود تفاهم بيزنطي بابوي(58). وبدأ مانويل يخشى أن تعطيه البابوية ظهرها, ومن أجل تفادي حدوث ذلك, رأى أن مساعده لمملكة بيت المقدس في هذا التوقيت ربما يكون المنفذ الوحيد الذي يقربه مرة أخرى من البابوية, ويثبت للغرب الأوربي أن بيزنطة لا تزال قوية ولم تؤثر فيها هزيمة ميروكيفالون .

لهذا أرسل الإمبراطور مانويل سفارة بيزنطية لمقابلة الملك بلدوين الرابع, على رأسها وفد دبلوماسي رفيع المستوى, برئاسة أندرونيكوس أنجيلوس Andronicus Anjelus ابن أخت الإمبراطور مانويل كومنين, وكانت مهمة السفارة إبلاغ الملك بلدوين الرابع أن الوقت أصبح مناسباً لتنفيذ المعاهدة التي عقدها الإمبراطور مانويل مع الملك عموري الأول

الحروب الصليبية - حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى

في عام 1171م (59) والتي حددها الملك بلدوين الرابع بالشروط نفسها بهدف غزو مصر (60)، كما أبلغت السفارة الملك بلدوين الرابع أن الإمبراطور مانويل أرسل سبعين سفينة من نوع الشواني وبعض السفن الأخرى وهي راسية في ميناء عكا على أهبة الاستعداد لغزو مصر (61).

في هذا التوقيت نفسه كانت قد وصلت إلى المملكة الصليبية حملة بقيادة فيليب كونت فلاندرز، ونظراً للحالة الصحية السيئة التي كان يمر بها بلدوين آنذاك فقد عرض على فيليب كونت فلاندرز قيادة الحملة لغزو مصر، لكن الكونت فيليب رفض الأمر رفضاً قاطعاً متعللاً بأنه لم يأتي للقيام بحرب ولكنه جاء لتزويج ابنتي عمه الأميرتين سييلا، وايزابيلا (62).

لم يكن فيليب كونت فلاندرز الأمير الوحيد الذي كان يعارض مشروع الحملة (63). فقد كان هناك العديد من النبلاء داخل المملكة غير ميالين لمشاركة بيزنطة في حملتهم على مصر، فرينو دي شاتيون زعيم الحزب المعارض لبيزنطة والذي تم تعيينه مؤخراً وصياً تنفيذياً للمملكة ربما لم يكن يرغب في مشاركة البيزنطيين. بل أن ريموند الثالث الذي يفترض أن يكون ضمن الحزب الموالي لبيزنطة كان هو الآخر غير راغب في غزو مصر وأظهر ذلك بصورة علنية (64).

على الرغم من رفض كونت فلاندرز، إلا أن سفراء بيزنطة كانوا مُصرين على تنفيذ الاتفاقية، وقالوا: " إنه من المحتمل أن يؤدي التراخي في تنفيذ الاتفاقية إلى طريق محفوف بالخطر وأن قومهم الإغريق لا يرون من ناحيتهم أي سبب لعدم المضي قدماً في تنفيذ الاتفاقية (65) .

لذلك جرى عرض الأمر مرة أخرى على الكونت فيليب للقيام بقيادة القوات الصليبية ومشاركة الأسطول البيزنطي غزوه للأراضي المصرية لكن الكونت رفض هذا الأمر أيضاً (66)، وبدا واضحاً أن مشروع الحملة الصليبية البيزنطية مهدد بالفشل. لهذا صب وليم الصوري غضبه على المعارضين للحملة، وألقى بكامل اللوم على الكونت فيليب، وحمله

فشل الخطة لغزو مصر، كما اتهم كلا من الكونت ريموند والأمير بوهيموند الثالث أمير أنطاكية بأنهما حرضا الكونت فيليب على عدم قبول المشاركة في غزو مصر، رغبة منهما في الإفادة من جهود كونت فلاندرز في تحقيق مصالح شخصية لهما(67) .

هذا ويرى المؤرخ **Lilie** أن قسماً من نبلاء المملكة لم يرغبوا في غزو صليبي بيزنطي مشترك لمصر، لأنهم اعتقدوا بأنه يمكن تحقيق ذلك بدون بيزنطة، وأنه لأجل ذلك لم يرغبوا في تقسيم الغنائم المتوقعة، أو بسبب أنهم كانوا يشككون في نجاح الحملة، أما الكونت فيليب فقد بدا واضحاً أنه يرفض التعاون مع البيزنطيين، وإن كانت دوافعه لذلك غامضة، ربما كانت لديه خططاً أخرى في مصر رأى أنه يمكنه تحقيقها بدون بيزنطة (68)، حتى أن المؤرخ جان ريتشارد (**Richard (J.)**) تساءل عما إذا كان فيليب يشتهي مصر لنفسه؟ (69). وفي ضوء ذلك لم تستطع مملكة بيت المقدس أن تغامر بالمشروع بدون فيليب كونت فلاندرز(70) .

أياً كان المسئول عن فشل الحملة فمما لا شك فيه أن مشروع الحملة ضد مصر عام 1177م كان غير مضمون النتائج، بل ومحكوم عليه بالفشل لعدة أسباب: أولها، أن الأسطول البيزنطي الذي هاجم دمياط عام 1169م كان يعادل ثلاثة أمثال السفن التي أعدت لمشروع هذه الحملة، ورغم ذلك باء بالفشل. ثانيها: أن أي قيادة صليبية تتولي أمر هذه الحملة لم تكن مثل قيادة عموري الذي كان شديد التحمس لغزو مصر. وثالثها: أن الأوضاع السياسية والعسكرية داخل المملكة صارت أمراً مقلقاً بسبب تفتت وحدة الصليبيين، في الوقت الذي كانت الأوضاع قد تغيرت للأفضل بالنسبة لصالح الدين، بعد أن امتدت سيطرته على مصر ودمشق ومعظم بلاد الشام حتى هدد حلب (71). وفي رسالة لصالح الدين رداً على أنباء قدوم كونت فلاندرز أورد يقول إن جنودنا أخذوا قسطاً من الراحة وزُودوا بالمال تزويداً حسناً، والموانئ محصنة تحصيناً قوياً، وحالة الأسطول المالية مريحة. كما صرح أن الصليبيون لم يختاروا الوقت المناسب للهجوم - من وجهة نظره - لأن جيوشه كانت قوية ومجهزة تجهيزاً جيداً، وأن أخيه تورانشاه يعد العدة لحشد الجيوش السورية بحيث

يكونوا على أتم استعداد لصد أي عدوان صليبي على مصر (72) .
وبذلك يتضح أن صلاح الدين كان يعلم بأمر هذه الحملة واستعد لملاقاتها (73)
على العكس من حملة عام 1169م التي فاجأت مدينة دمياط. وفي مثل هذه الأوضاع لم
يكن من الحكمة البدء بهجوم على مصر، لربما يدفع ذلك إلى اتحاد صلاح الدين مع حلب،
وأخيراً تطويق الدويلات الصليبية؛ في الوقت الذي كانت فيه الإستراتيجية الصليبية تعمل
على منع صلاح الدين من دمج حلب (74) .

ولعل في هذه الأسباب ما يكفي للرد على الذين بالغوا في أمر هذا المشروع ورأوا
أنه أضعاف على الصليبيين فرصة فصل مصر عن بلاد الشام (75) .
ولكن وليم الصوري كان يرى أنه من العار أن يفقد الصليبيون هذه الحملة: "إنه ليس من
الأسلم ولا الأشراف لنا أن ننسلخ من هذه الاتفاقية". وكان ما يُقلق وليم هو أن هذا
الموقف السلبي لبني جلدته سيقابل بغضب وبرد فعل خطير من جهة الإمبراطور: "لقد كان
عدم وفائنا بالاتفاق الذي ربطنا أنفسنا به يبدو أخط ما يزرى بالشرف .. ومن الخسارة أن
نفقد مساعدة الإمبراطور الذي استعد لمعاونتنا، زيادة على ذلك فقد خشينا غضبته التي قد
تسفر عن عواقب وخيمة تحيق بالمملكة" (76).

والواقع أن المؤرخ وليم الصوري بالغ كثيراً في روايته، ولا مراء في أن هذه المبالغة ترجع
إلى كونه الطرف الأساسي في عقد هذه الاتفاقية، حيث كان قد سافر من قبل للإعداد لعقد
هذا التحالف، لذلك كان غاضباً من المملكة لعدم تنفيذ بنود هذا الاتفاق.

ولكن بعيداً عن مبالغات وليم الصوري فإن المملكة الصليبية بدأت تدرك خلال
ذلك الوقت أهمية التحالف مع بيزنطة لذلك عقد صليبيو المملكة اجتماعاً مع المبعوثين
البيزنطيين، وفي هذا الاجتماع أكد الصليبيون أنهم لا زالوا حريصين على تنفيذ الاتفاق بغزو
مصر، وأنهم بحاجة إلى معرفة رأي البيزنطيين في ذلك، وكان رد بيزنطة أنها لا زالت تأمل في
تنفيذ الاتفاق، على الرغم من أن الوقت قصير ولا يسمح بالقيام بالتجهيزات اللازمة
لجيوشهم، إلا أنهم على الاستعداد للمشاركة إذا ما أقسم كونت فلاندرز على نفسه بالتعهد

الحروب الصليبية - حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى

بالعمل على تنفيذ الاتفاق، ودون الإخلال بأي شرط منه، ولما طال موضوع النقاش دون الوصول إلى هدف، تم فض الاجتماع وتأجيله إلى شهر أبريل من العام التالي 1178م، عند ذلك استأذن مندوبو الإمبراطور في السفر فعادوا بصحبة الأسطول البيزنطي إلى وطنهم (77) بعد أن أمضوا شهراً في محاولة لدفع الصليبيين لتنفيذ الاتفاق بغزو مصر (78). وبذلك انتهى التحالف الصليبي البيزنطي لغزو مصر ولم يجدد بعد ذلك قط. إذ كانت هذه آخر فرصة قدمتها الإمبراطورية لمملكة بيت المقدس (79).

على الرغم من فشل مشروع الحملة الصليبية البيزنطية، فإن ذلك لم يمنع وجود علاقات ودية بين مملكة بيت المقدس وبيزنطة، ويبدو أن الاتصالات بينهما لم تتوقف، وخاصة بين مانويل كومنين وبين الحزب الموالي لبيزنطة في المملكة، ففي أواخر سنوات حكم مانويل، توجه بلدوين من ايلين إلى القسطنطينية (80) يلتمس من الإمبراطور مانويل الأول دفع فديته، ليسترد حريته، والتي كانت شرطاً من شروط الأميرة سيبيللا للزواج منه (81). وطبقاً لرواية إرنول، فإن بلدوين ايلين أستقبل بترحاب في البلاط البيزنطي، وأعطاه مانويل من المال ما يكفي لدفع فديته وأكثر (82) ومن المرجح أن الإمبراطور مانويل كان يهيمه أن يتزوج بلدوين ايلين من الأميرة سيبيللا، كخطوة لعودة سياسة المملكة إلى يد الحزب الموالي لبيزنطة، ممثلاً في بلدوين ايلين (83).

في هذا الوقت أيضاً، توجه وليم الصوري إلى القسطنطينية، وفيها قضى سبعة أشهر في إجراء بعض المفاوضات مع البيزنطيين، وذكر وليم الصوري أنها كانت "مفاوضات جدية وشاقة.. عادت بالنفع علينا وعلى الكنيسة". غير أنه لم يذكر تفاصيل هذه المفاوضات أو عن أي شيء تمت. كذلك أشار وليم أنه أثناء رحلة عودته لبيت المقدس مر بأنطاكية، حيث نقل إلى بطريكها أوامر الإمبراطور مانويل، وطبقاً لرواية وليم فقد كان برفقته بعض المبعوثين البيزنطيين من أشرف القوم، ولكن ليست لدينا معلومات عن مهمة هذه البعثة (84).

كما توجهت أيضاً سفارة صليبية بقيادة كل من بلدوين ايلين وجوسلين الثالث

كورتيناى سنكال المملكة إلى القسطنطينية في مهمة رسمية للبلاد الإمبراطوري، ولكن لا يُعرف أية تفاصيل عنها، إذ إن كافة المصادر الصليبية والبيزنطية لاذت بالصمت حول هذه السفارة. ويحتمل كما افترض أحد المؤرخين أنها كانت مهمة رسمية لمحاولة تنسيق سياسات الدولتين (مملكة بيت المقدس وبيزنطة) ضد صلاح الدين والسلاجقة(85) على أية حال، ففي الرابع والعشرين من سبتمبر سنة 1180م مات مانويل الأول، في الوقت الذي كانت سفارة بيت المقدس لا تزال في القسطنطينية، وبوفاته فقد الصليبيون أقوى حليف لهم إذ كان مانويل الأول على حد قول روبرت كلاري: "لاتيني الطابع والنزعة، ولعاً بكل ما هو غربي، صادقاً في ميله للصليبيين، ولو امتد به الأجل لأضحى أسطوله وأمواله بالغة الأهمية للصليبيين(86) .

وقد خلف مانويل على العرش ابنه ألكسيوس الثاني كومنين *Alxius II Comnenus* (1180-1183م) الذي كان في الحادية عشرة من عمره، تحت وصاية أمه ماريا الأنطاكية، أرملة مانويل الأول، وأخت بوهموند الثالث أمير أنطاكية. ونظراً لأنها أميرة صليبية فقد سعت للتقارب مع صليبي المملكة، لذلك في شتاء عام 1180م استكمل جوسلين الثالث باسم الملك بلدوين الرابع المفاوضات مع حكومة بيزنطة الجديدة ثم عاد جوسلين الثالث في صيف عام 1181م إلى مملكة بيت المقدس، والراجح أنه عاد بمفاوضات ناجحة مع البيزنطيين(87).

في صيف العام نفسه، أرسلت ماريا الأنطاكية سفارة إلى القاهرة لتفاوض صلاح الدين في عقد هدنة معه، وربما كانت تأمل في استخدام صلاح الدين كحليف لها ضد سلاجقة الروم، وقد رحب صلاح الدين بعقد تلك الهدنة التي تمت في يوليو سنة 1181م، والواقع أن هذه الهدنة لم تسبب أية مشاكل لمملكة بيت المقدس، التي كانت هي نفسها في صلح وهدنة مع صلاح الدين في ذلك الوقت أيضاً(88) .

لم تلبث هدنة الصليبيين مع صلاح الدين أن انتهت في ربيع 1182م في الوقت الذي كانت الحكومة البيزنطية قد تغيرت، فقد تعرضت الوصية ماريا الأنطاكية ذات

الميلول الصليبية لكراهية البيزنطيين، الذين ثاروا عليها وعلى ابنها، وكان زعيم الثورة رجلاً بيزنطياً طاعناً في السن هو أندرونيكوس كومنين **Andronicus Comnenus** (1183-1185 م) - ابن عم الإمبراطور مانويل - واستطاع هذا الثائر أن يقصي كلاً من ماريا وابنها عن العرش، بدعوى أنه جاء يخلص البيزنطيين من نير اللاتين، الأمر الذي أعطى الفرصة للبيزنطيين في الانقضاض على اللاتين الموجودين في القسطنطينية، فجرت ضدهم مذبحه مروعة، ولم يبق منهم على قيد الحياة إلا قلة ضئيلة فرت إلى الغرب الأوربي (89).

والواقع أن الحماية البيزنطية لمملكة بيت المقدس زالت بسقوط حكومة ماريه الأنطاكية سنة 1183م (90)، إذ اتخذ أندرونيكوس سياسة مخالفة تماماً لسياسة مانويل كومنين وابنه ألكسيوس، فقد كان أندرونيكوس كارهاً لكل ما هو لاتيني لذلك عقد معاهدة مع صلاح الدين، وكانت هذه المعاهدة موجهة ضد مملكة بيت المقدس وضد السلاجقة، والأخطر من ذلك أنه أطلق بمقتضاها لصلاح الدين الحرية التامة في مهاجمة الصليبيين (91). حينئذ أدرك الملك بلدوين الرابع أنه لا يمكن توقع مجيء مساعدة من بيزنطة (92).

لم تلبث أن ثارت ضد أندرونيكوس ثورة أطاحت به في سنة 1185م، وقد مزق الثوار جسده شر ممزق، وكانت الثورة برئاسة إسحاق أنجيلوس - **Isaac Angelus** (1185-1185 م) ابن عم الإمبراطور - والذي تم رفعه على عرش بيزنطة (93). وفي عهده أهملت بيزنطة علاقاتها بمملكة بيت المقدس، حيث أجرى أنجيلوس مفاوضات بينه وبين صلاح الدين، والتي كانت تعني انقطاع التعاون البيزنطي الصليبي، وابتعاد بيزنطة عن مد يد العون للمملكة الصليبية (94)، وحتى إذا سلمنا جديلاً بأن سياسة بيزنطة وتحالفها مع صلاح الدين لا تعني العداء التام للمملكة وللصليبيين، فإن الإمبراطورية البيزنطية لم تكن قوية بما يكفي للتدخل لصلاح الصليبيين في الشرق (95).

هذه الأحداث التي وقعت لبيزنطة كانت بالغة الضرر بالنسبة للمملكة الصليبية، وبالغة النفع بالنسبة لصلاح الدين، إذ لم يعد بوسع الصليبيين وحدهم أن يعترضوا تقدم

صلاح الدين, كذلك لم يعد بوسع بيزنطة أن تبذل المساعدة لمملكة بيت المقدس, ومن ثم كان لزاماً على الملك بلدوين الرابع أن يبحث عن حليف آخر, يحل محل الدور الذي كانت تقوم به بيزنطة خلال حكم الإمبراطور مانويل ولم يكن هذا الحليف سوى الغرب الأوربي. لذلك بدأت المملكة الصليبية ترسل دعوتها لأمرء وملوك الغرب الأوربي للمبادرة بالقيام بحملات صليبية لإنقاذها ,

كانت إنجلترا من أولى الدول التي اتجهت إليها أنظار مملكة بيت المقدس, فعقب تولية بلدوين الرابع ملكاً لبيت المقدس في يوليو 1174م جرى توجيه دعوة إلى الملك الإنجليزي هنري الثاني بلانتجنوت (1154-1189م) لتولي الوصاية على المملكة باعتباره من أقرب الذكور صلة بالملك بلدوين الرابع (96). ولكن لأسباب غير معروفة رفض الملك هنري القدوم لتولي الوصاية, ربما بسبب مشاغله الكثيرة في الغرب. حيث دخل هنري الثاني في ثورة على عرش إنجلترا استغرقت الفترة من عام 1173 وحتى عام 1174م, لهذا لم يستطع تقديم المساعدة للمملكة الصليبية في بداية حكم بلدوين الرابع (97).

ومع ذلك ليس هناك خلاف حول التزام هنري الثاني بمساعدة الأرض المقدسة من الناحية المالية فخلال السنوات التي عاصرت حكم الملك بلدوين الرابع جرى فرض مراسيم من قبل الملك هنري الثاني لجمع ضرائب لمساعدة الأرض المقدسة (98), ففي عام 1177م أعطى هنري الثاني لفيليب كونت فلاندرز مبلغ خمسمائة مارك لتمويل حملته الصليبية المتجهة إلى القدس. بالإضافة إلى ألف مارك للدفاع عن الأرض المقدسة. وفي عام 1182م أودع هنري مبلغاً كبيراً من المال لدى الداوية الإيستارية, للدفاع عن مدينة صور, ويقدر هذا المبلغ بحوالي ثلاثين ألف مارك (99). وبدا ذلك وكأنه المنفذ الوحيد المتاح أمام الملك الإنجليزي في ضوء الظروف السياسية السائدة في إنجلترا في هذه الآونة. (100).

على أية حال, فإن التماسات الملك بلدوين الرابع وحكومته إلى الغرب الأوربي بدأت تحدث بعض التأثير على الرأي العام الغربي ابتداء من أواخر عام 1177م, وكانت أولى الدول التي استجابت لهذه النداءات هي فرنسا وإنجلترا, فهما المملكتان اللتان استأثرا

بنصيب الأسد في القيام بالحملة الصليبية التي وجهت إلى الشرق حتى الفترة قيد البحث (101).

وفي ذلك الوقت ترددت الأقاويل عن الاستعدادات لتوجيه حملة صليبية جديدة من الغرب, وجرى الحديث عن أن لويس السابع ملك فرنسا, وهنري الثاني ملك إنجلترا, قررا الاشتراك في حملة صليبية جديدة لمساعدة مملكة بيت المقدس (102). ففي عام 1177م, عقد الملكان هنري الثاني ولويس السابع معاهدة إيفري, Ivry (103) وفيها تعهد الملكان بالإبحار إلى الشرق على رأس حملة صليبية (104)

ولكن رغم هذا التعهد رفض كل من الملكين القيام بحملة صليبية لمساعدة الملك بلدوين الرابع في حروبه في تلك السنة. ويمكن تفسير هذا التراخي, بالارتياح المتبادل الذي كان بين ملكي فرنسا وإنجلترا, حيث كان هنري الثاني وأبنائه باعتبارهم من الناحية الرسمية أفصلاً للملك الفرنسي كانوا يحكمون جزءاً كبيراً من الأراضي الفرنسية أكثر من ملك فرنسا ذاته (105). لذا فإن كلاً من لويس وهنري كان ينظر للآخر بارتياح عميق. ومن ثم فإن أياً منهما لم يكن يستطيع الذهاب بمفرده إلى الشرق وعلى رأس حملة صليبية, وهو مدرك تماماً أن الآخر في انتظار اقتناص هذه الفرصة لغزو أراضيه. حيث تكون النتيجة فقدان هيئته, وازدياد نفوذ سلطة منافسه. ولهذا لم يكن هناك مخرج لهذا الموقف. ولكن المساعدة المالية فقط هي التي كان يمكن إرسالها للملك بلدوين الرابع (106).

عقب ذلك عُقدت معاهدة نوناكورت Nonancourt بين الملك الفرنسي لويس السابع ونظيره هنري الثاني عام 1177م. وفي هذه المعاهدة وضع الملكان الإنجليزي والفرنسي الشروط التي تحدد سيرهما إلى القدس على رأس حملة صليبية مشتركة, وكان من بين ما جاء في نص المعاهدة مايلي: "وليعلم كل الناس أنني لويس ملك فرنسا, وهنري ملك إنجلترا, أننا تعاهدنا على حمل الصليب والذهاب إلى مملكة بيت المقدس لمساعدة الصليبيين هناك, كما تعاهدنا أن نكون أصدقاء أوفياء بيننا (107) .

ولكن حتى ذلك الوقت بقيت فكرة الحملة الصليبية مجرد اقتراح. كما أزاح هذا

الاتفاق النقيب عن انعدام الثقة بين الملكين, حتى ولو كان هذا المشروع من أجل تحقيق مصلحة دينية عليا(108) .

لم تفقد حكومة الملك الصليبي بلدوين الرابع الأمل في إنقاذ الغرب الأوربي لها، رغم خيبة الأمل التي اصطدموا بها جراء خلافات العاهلين الفرنسي والانجليزي. ومن ثم أوفد الملك بلدوين الرابع سفارة برئاسة البطيريك هرقل في شتاء 1184م إلى الغرب الأوربي, وكانت السفارة تضم أيضاً عدداً كبيراً من الداوية والإسبتارية, مثل أرنولد من تورج **Arnold of Torroge** سيد الداوية, وروجر مولينه سيد الإسبتارية, وكان هدف السفارة الدعوة لحملة صليبية جديدة(109). وفي فيرونا **Verona** تقابلت هذه السفارة مع كل من البابا لوسيوس الثالث, ثم الإمبراطور الألماني فردريك الأول برباروسا, ثم وصلت السفارة إلى إنجلترا في نهاية يناير 1185م والتقت بهنري الثاني في ريدنج **Reading** حيث وصف البطيريك المتاعب التي تعانيها المملكة خاصة ومع اشتداد مرض الجذام على الملك بلدوين الرابع(110) .

جاء رد فعل هنري الثاني على سفارة بيت المقدس انعكاساً للفتور الغربي بصفة عامة تجاه السفارات الصليبية القادمة من الشرق. حيث رفض المشاركة في أية حملة تتجه إلى الشرق في ذلك الوقت. ويعلل أحد المؤرخين رد فعل هنري الثاني تجاه هذه السفارة بأن الملك لم يكن يستطيع أن يأمن بترك السلطة في يد أحد من أبنائه في حالة ذهابه إلى الشرق, مما ينذر بحرب أهلية وخيمة العواقب في إنجلترا من خلال تمرد أبنائه ضده(111). لكن ذلك لم يمنع هنري الثاني من فرض ضريبة استثنائية في إنجلترا كان غرضها الأساسي مساعدة مملكة بيت المقدس من الناحية المالية(112). وكانت هذه الضريبة آخر ما وصلت إليه العلاقات بين مملكة بيت المقدس وإنجلترا خلال عهد الملك بلدوين الرابع .

وهكذا يتضح أنه بالرغم من الالتماسات المتكررة والعاجلة من قبل الملك بلدوين الرابع إلى إنجلترا وفرنسا لإرسال حملة عسكرية جديدة, إلا أن هاتين الدولتين لم تخرج منهما مساندة عسكرية على نطاق واسع إلى الشرق (113) شأنهما في ذلك شأن بقية

أوريا (114).

أما بالنسبة لنورمان صقلية فقد كانوا قد ظهروا آنذاك كقوة أوروبية خاصة بعد ما ساندوا البابا اسكندر الثالث والعصبة اللمباردية ضد فريدريك الأول Frederick I إمبراطور ألمانيا (1152-1190م) (115). لهذا كانت الفرص المؤكدة للمساعدات الغربية لمملكة بيت المقدس موجودة لدى الملك الشاب وليم الثاني William II (1166-1184م) ملك صقلية والذي كان قلقاً بشأن نمو قوة صلاح الدين، وخصوصاً حول توسعه الغربي خارج حدود مصر، لهذا جمعته بمملكة بيت المقدس علاقات ذات مصالح مشتركة (116).

بدأت العلاقات بين صقلية ومملكة بيت المقدس عندما عقد الملك وليم الثاني معاهدة مع عموري الأول سنة 1174م اتفقوا فيها على غزو مصر، ولكن لم يلبث أن مات عموري الأول في تلك السنة، تاركاً الأسطول النورماني يمضي في حملته بمفرده (117)، لكن ما يهمنا في هذا الموضوع هو أن الملك بلدوين الرابع لم يجدد المعاهدة التي عقدها والده مع النورمانيين، ومن المرجح أن السبب في ذلك يرجع إلى تخوفه من نورمان صقلية الذين كانوا يعملون على غزو مصر ليفوزوا بها بمفردهم (118).

أياً كان الأمر فبعد ثلاثة عشر يوماً فقط من تتويج بلدوين الرابع ملكاً لبيت المقدس، وبالتحديد في الثامن والعشرين من يوليو 1174م وصل الأسطول النورماني إلى الإسكندرية وأغار عليها (119). وكان أسطولاً كبيراً قدرته المصادر الإسلامية بمائتي واثنين وثمانين سفينة حربية تحمل المقاتلين النورمانيين بعدتهم وعتادهم، وبلغ عدد هؤلاء المقاتلين ثلاثين ألف مقاتل، وفي رواية، خمسين ألف مقاتل (120). ولا شك أن هذه الأرقام مبالغ فيها من جانب المؤرخين المسلمين، وإن كانت لها دلالتها أيضاً. أما المصادر الصليبية فقد قدرت هذا الأسطول بمائتي سفينة (121). وكان الأسطول بقيادة تانكريد Tancred، كونت ليتشي (122).

وقد ذكر ابن الأثير أن مجموعة من الثوار المصريين أرسلوا إلى ملك بيت المقدس،

وإلى ملك صقلية النورماني يستنجدون بهما ضد أقوى أمراء نور الدين وهو صلاح الدين، وكانت خططهم تقضى بأن يهاجم الأسطول النورماني وجيش المملكة حدود مصر الشمالية، وذلك لجذب صلاح الدين إلى خارج القاهرة، في الوقت الذي تنشب الثورات الداخلية، ويهاجموا مؤخرة جيش صلاح الدين، وبذلك يقع صلاح الدين بين نارين: هجوم الصليبيين من الخارج، واندلاع الثورات في الداخل (123).

وهكذا قدمت الظروف الخارجية آنذاك للصليبيين فرصة ثمينة للهجوم على صلاح الدين في عقر داره، والحد من قوته. لكن ذلك لم يحدث، حيث لم تتحرك القوات الصليبية لمساعدة النورمانيين (124).

هذا الموقف السليبي الذي وقفته المملكة تجاه الأسطول النورماني يثير العديد من التساؤلات حول الأسباب التي جعلت مملكة القدس تحجم عن غزو مصر، خاصة وأن صلاح الدين كان مشغولاً آنذاك بمشاكله الداخلية مع قواد نور الدين، فضلاً عن الثورات التي كانت تقوم ضده في مصر (125).

الواقع أن المصادر المعاصرة وخاصة اللاتينية منها لم تذكر أدني إشارة عن أسباب إحجام المملكة في مشاركة النورمانيين حملتهم، فوليم الصوري المعاصر لتلك الحملة، حمل القيادة النورمان مسئولية هذا الفشل بسبب إهمالهم (126). وبذلك ألقى هذا المؤرخ باللائمة على عاتق النورمان. لكن يبدو أن هذا مبرراً ليس كافياً، إذ يُذكر أن ثمة نزاع نشب بين الصليبيين في مملكة بيت المقدس حول الوصاية على العرش، عطل تقديم المساعدة إلى الحملة النورمانية، الأمر الذي مكن صلاح الدين من إرسال الإمدادات الضرورية إلى حامية الإسكندرية، فتمكنت الحامية في اليوم الثالث من مباغته الأسطول وأحرقت بعض السفن وأغرقت البعض الآخر وألحقت بالأسطول خسائر كبيرة، مما أدي إلى فشل الحملة وانسحاب الأسطول النورماني إلى صقلية خائباً في الثاني من أغسطس عام 1174م (127).

علي الرغم من ذلك أرسل نورمان صقلية حملتين بحريتين سنتي 1175م، 1176م وكان السبب الظاهري مساعدة مملكة بيت المقدس، ففي خطاب أرسله صلاح

الدين إلى الخليفة العباسي أطلعته أن ملك صقلية يستعد للهجوم على مصر بمساعدة الصليبيين(128). وقد صدق ظن صلاح الدين, حيث قدمت حملتان من حملات صقلية على مصر, وبخاصة على مدينة تيس(129). لكن الحملتين فشلتا أيضاً (130). وربما بسبب عدم مساعدة مملكة بيت المقدس لهما. وبخاصة بعد أن تبين للملك بلدوين الرابع وحكومته أن الحملتين كان غرضهما النهب والسلب وليس مساعدة المملكة(131). ومها يكن من أمر فقد كانت هذه آخر المشروعات التي حاولت صقلية القيام بها خلال عهد الملك بلدوين الرابع, فبعدها عقد الملك وليم الثاني مع صلاح الدين تعهد فيها بعدم مهاجمة الأراضي الإسلامية, كما تعهد بعدم تقديم المساعدات لمملكة بيت المقدس(132).

إذا انتقلنا إلى الحملات التي قدمت المملكة الصليبية خلال عهد الملك بلدوين الرابع, فهناك حملة بقيادة هنري كونت تروي, ابن كونت ثيوبولد الكبير, وقد وصلت هذه الحملة إلى ميناء عكا عام 1179م, وكانت الحملة تضم مجموعة من كبار رجال الغرب الأوربي, من بينهم بطرس دي كورتيناى **peter de Courtenay** شقيق لويس السابع ملك فرنسا, كما جاء فيليب أسقف بوفيه المنتخب بن كونت روبرت **Philip Bishop Pofee** وأخو الملك لويس(133).

جاءت هذه الحملة عقب مجمع اللاتيران الثالث, ويبدو أن الوفد الصليبي الذي حضر مجمع اللاتيران قد طلب المساعدة من كونت ثيوبولد, ولعل ما يرجح هذا القول أن وليم الصوري ذكر أن الوفد الصليبي ترك ابن كونت ثيوبولد خلفه في مدينة برنديزي بأبوليا أثناء رجوعه من مجمع اللاتيران(134).

الواقع أن تفاصيل هذه الحملة قليلة, وكذلك ليس لدينا معلومات عن أعدادها. وكل ما نعرفه أن هذه الحملة قدمت في وقت كانت فيه المملكة تعاني من ضربات صلاح الدين وحصاره لحصن بيت الأحزان, وقد أعاد قدوم هذه الحملة بعض الثقة إلى نفوس صليبي بيت المقدس, وقد أحييت لدى الصليبيين الآمال في أن يتجنبوا ضربات المسلمين

الموجعة, كما علق الملك بلدوين الرابع آمالاً كبيرة على أن يثأر بمساعدتهم من المسلمين (135). ولذلك فقد تحركت هذه الحملة مع الملك بلدوين إلى طبرية, في محاولة للضغط على صلاح الدين لرفع الحصار عن حصن بيت الأحزان, ولكن على حد رواية المصادر الصليبية فإن بلدوين الرابع ومن معه من جنود هذه الحملة أجلوا الاستعدادات ليوم واحد فقط, وخلال هذا اليوم تمكن صلاح الدين من الاستيلاء على الحصن وهدمه (136).

وهكذا فإن الآمال الكبيرة التي علقها المملكة على هذه الحملة قد ذهبت أدراج الرياح, ولم تستطع أن تغير من أمر الصراع الصليبي-الإسلامي شيئاً, ولذلك عادت المفاوضات مرة أخرى مع دوق برجنديا, هيو الثالث Hugh III وقد تجددت هذه المفاوضات مع عمه الكونت هنري, وانعقد الأمل مرة أخرى على قدومه بجملة إلى المملكة, ولكن لأسباب يقول وليم الصوري أنه لا يعرفها لم تأت الحملة إلى الشرق اللاتيني (137). على أن أشهر الحملات التي قدمت زمن بلدوين الرابع هي الحملة الفلمنكية, والواقع أن أحداث هذه الحملة تحتاج إلى إيضاح, لما لها من أهمية في تاريخ تلك المرحلة موضوع الدراسة, ولأهمية نتائجها التي تأثرت بها المملكة الصليبية بصورة تكاد تكون مباشرة والتي وقعت أحداثها خلال سنتي 1177 و1178م.

في أول أغسطس من عام 1177م وصلت إلى ميناء عكا حملة فلمنكية بقيادة فيليب الألزاسي ابن تييري كونت فلاندرز, وقد ذكرت المصادر المعاصرة أن هذه الحملة كانت مكونة من عدد كبير من الفرسان والمقاتلين, وإن لم تحدد هذه المصادر عدتها وعتادها على وجه الدقة (138).

كان الملك بلدوين الرابع يترقب وصول فيليب كونت فلاندرز بجملته منذ وقت بعيد (139). وفي الواقع فإن الكونت كان قد خطط لسفره بالفعل منذ سنة 1176م, لكن الملك الإنجليزي هنري الثاني طلب من الكونت فيليب إرجاء حملته الصليبية لمدة سنة أخرى, ووعدته بالمشاركة في نفقات الحملة الفلمنكية في حالة تأجيل الحملة. وقيل أن السبب وراء محاولة هنري الثاني منع فيليب من الذهاب, هو أنه كان يخشى أن يجعل فيليب من

نفسه ملكاً للقدس (140). وقد امتثل فيليب إلى رغبات الملك هنري الثاني, نظراً لحاجته إلى المال الذي وعده به هنري, واستناداً لرواية "روجر أوف واندوفر" فإن المال الذي عرضه هنري لفيليب كان مرتبطاً بشرط قيامه بحملة للدفاع عن مملكة بيت المقدس الصليبية (141).

والواقع أن فيليب كونت فلاندرز كان مهتماً ببيت المقدس لعدة أسباب أهمها أن والديه ضربا له أروع المثل للحماسة للأرض المقدسة, فوالده تييرى أوف فلاندرز قام بحملة صليبية لمساعدة بيت المقدس أربع مرات (142), بينما أمه انفصلت عن أبيه لكي تبقى في خدمة أحد الأديرة بالقرب من القدس, وظلت هناك حتى وفاتها سنة 1165, فضلا عن أنه كان ابن عم بلدوين الرابع, وبذلك كان ضمن القلائل من الذين كان لهم الحق في الوصاية على بلدوين الرابع أثناء اعتلائه عرش المملكة. (143)

مهما كان الأمر, فقد رحب الملك بلدوين الرابع بقدم فيليب في أغسطس 1177م أبلغ ترحيب, إذ أرسل كبار نبلائه لاستقباله الاستقبال اللائق, وخرج الملك بنفسه رغم شدة مرضه منقولا على محفة لاستقبال هذه الحملة (144), ويبدو أن الملك بلدوين الرابع كان يعول كثيراً على هذه الحملة, وربما رأى فيها طوق النجاة لمملكته, ويبدو أنه كان يأمل في إسناد وصاية عرش المملكة إلى فيليب خلفاً لريموند الثالث من ناحية, والإفادة من الحملة الفلمنكية في إتمام مشروع الغزو لمصر من جهة أخرى (145).

ومن ثم فقد عرض الملك بلدوين الرابع على الكونت فيليب تسليمه الإشراف على المملكة في السلم والحرب, كوصي له, وألح عليه في تولي قيادة الحملة الصليبية لغزو مصر بمشاركة القوات البيزنطية, لكن موقف فيليب جاء مخيباً لآمال الملك بلدوين الرابع (146). فقد رفض فيليب تولي الوصاية على مملكة بيت المقدس, مدعياً سببين هما: أولهما, أنه لم يأت إلى المملكة بقصد امتلاك السلطة "ولكنه جاء ليكرس نفسه لخدمة الرب التي هي هدف زيارته", وأن من خطته ألا يتحمل أية مسؤولية, حتى يكون حراً في العودة إلى بلده إذا تطلبت مصالحه هناك ذلك, كما أضاف أنه سيمثل الطاعة حيال من

يعينه الملك كوسي, شأنه في تلك الطاعة كشأنه تجاه مولاه ملك فرنسا (147). وثانيهما, أنه جاء لتزويج ابنتي عمه الأميرتين سيبيلا وايزابيلا (148).

أما عن أسباب رفضه المشاركة في الحملة على مصر فقد قدم ثلاثة أعذار: أنه يجهل جغرافية المنطقة, ويجهل نواحيها وبخاصة مصر, التي يتزامن فيها فيضان النيل, وأنه سمع أن حشداً من "الترك" المسلمين قد مضوا إلى مصر للدفاع عنها, وأضاف إلى هذين السببين سبباً ثالثاً, وهو أنه يخشى المجاعة التي قد تتفاقم بسبب ندرة التموين أثناء زحفهم على مصر (149).

لقد اعتبر وليم الصوري هذه الأعذار واهية, وأنها مجرد أعذار أراد بها فيليب تبرير إحجامه عن مساعدة الملك المريض في النهوض بأية مشاريع قد تقيل المملكة من عثرتها (150). ولكن إذا نحينا رواية وليم الصوري جانباً لتحاملها على الكونت فيليب. وأمعنا النظر في الأسباب الثلاثة المتعلقة بإشكالية رفض الكونت للمشاركة في الحملة على مصر, يتضح أن السبب الأول فقط هو الذي كانت له قوته, مع الأخذ في الاعتبار أن ادعائه بأن مصر على أبواب الشتاء أمراً يحتاج إلى تفسير, فقد كانت حماة وحارم التي توجه الكونت لغزوها كانت أيضاً تتعرض للظروف المناخية نفسها, فكانت على أبواب الشتاء أيضاً. كذلك فإنه في رسالة من صلاح الدين إلى بغداد من إنشاء القاضي الفاضل, يستفاد منها أن بلاد الشام كانت تتعرض إلى موجة من الجذب العام "... وكان أن خرج الفرنج إلى البلاد الشامية .. غادرين غدراً صريحاً, مقدرين أن يجهزوا على الشام لما كان بالجذب جريحا, ونزلوا على ظاهر حماة ...". أما السبب الثاني فليس لدينا ما يدعم صحته, بخاصة إذا علمنا أن بلاد الشام كانت على أبواب سنوات عجاف, مما يعني أن صلاح الدين لا يمكن أن يأمل مساعدة عاجلة ممن أسماهم كونت فلاندرز "الأتراك" والذي ربما يقصد بهم الحلبيين والمواصلة. أما السبب الثالث فيبدو غير مقنع بعض الشيء. والراجح أن تلك الأمور أخذت بعين الاعتبار من قبل الملك بلدوين الرابع ونبلائه, وفي محاولة من الملك في التغلب على تلك العلة فقد عرض على الكونت ستمائة جمل لنقل المئونة والسلاح وغير ذلك من المتاع عن

طريق البر، كما وعد الملك بإمداد الكونت بما يحتاجه من السفن لحمل الذخائر والآلات الحربية وكل مستلزمات القتال، لكن الكونت رفض كل هذه العروض رفضاً قاطعاً، وزاد على ذلك أنه لن يمضي إلى مصر تحت أي الظروف مخافة من شبح المجاعة التي قد تنزل به هو وعسكره على غير توقع. ثم أضاف الكونت أنه يسعى هو وعسكره إلى نصر سهل بجهود قليلة على بلد غني يحقق طموحات جنوده(151).

الواقع أنه كان هناك سبب يبدو أكثر منطقية وراء رفض كونت فلاندرز مهاجمة مصر لمساعدة مملكة بيت المقدس. وهو محاولة كل من ريموند الثالث كونت طرابلس، وبوهيموند الثالث أمير أنطاكية إبعاد كونت فلاندرز عن تقديم خدمات للمملكة الصليبية، وكان لكل من ريموند الثالث وبوهيموند الثالث أسبابهما في ذلك. بالنسبة لريموند، فإن الوصاية قد ضاعت منه على المملكة في هذه السنة (1177م) وتم تعيين رينو دي شاتيون مكانه، والذي لا حدود لأطماعه، وهو أمر أغضب ريموند. أما بوهيموند الثالث فقد أراد الاستفادة من خدمات فيليب كونت فلاندرز بالتوسع في شمال الشام، واستعادة حماة وحارم من يد المسلمين(152).

والواقع أن اختيار الحملة الفلمنكية لغزو حماة وحارم، على وجه التحديد، يؤكد أن كلاً من بوهيموند الثالث، وريموند الثالث قد قاما بمناورة أدت إلى جذب فيليب إليهما مما أدى إلى فشل الملك بلدوين الرابع في الإفادة من جهود الحملة الفلمنكية في غزو مصر. وقد صرحت المصادر المعاصرة بذلك حيث ذكرت أن الأميرين بوهيموند الثالث وريموند الثالث اجتهدا في شد انتباه كونت فلاندرز إلى أراضيها للقيام بعمل مشترك من شأنه أن يزيد من أملاكهما في شمال الشام ووسطه، وبخاصة وأنهما قد وقفا على الأعداء التي انتحلها فيليب كي لا يشترك في الحملة على مصر، ووجدا أن المشاريع التي يمكن أن يساهم فيها بقواته تنطبق تماماً على ما دبراه لنفسيهما من مشاريع(153).

أما عن أحوال حماة وحارم وجارتيهما حلب فقد كانت مضطربة بعض الشيء وربما مناسبة لخطة غزو الحملة الفلمنكية، فبالنسبة إلى حماة فقد كانت اختياراً جيداً كهدف

للسيطرة، فالمملك الصالح لم يكن يتوقع منه مساعدة حامية صلاح الدين التي كانت تتولى حماية حماة (154) وطبقاً لرواية ابن الأثير فإن فيليب كان على علم بخلو حارم من الدفاع لأن شمس الدولة بن أيوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين وليس لديه عدد كثير من العسكر، كما أن صاحب مدينة حماة وهو شهاب الدين محمد الحارمي - خال صلاح الدين - كان شديد المرض (155).

أما حارم فلم تكن أحوالها بأفضل من حماة، فقد أجمعت المصادر المعاصرة بأن أحوالها كانت مختلفة في ذلك الوقت. فقد كان والي حصن حارم "سعد الدين كمشتكين" تجمعه مع الملك الصالح إسماعيل ابن نور الدين محمود علاقات عدائية حيث كان يشعر كمشتكين أن الملك الصالح ينوي اعتقاله، بسبب تقربه من الصليبيين، وقد زاد خصوم كمشتكين هذا الشعور لدى الملك الصالح (156)، لذا فقد مال كمشتكين إلى التحالف مع الصليبيين، حيث أقسم له بوهموند الثالث أن يحميه ويساعده ضد "أعداءه" الحلبيين (157). وأضاف ابن العديم أن سعد الدين كمشتكين راسل الصليبيين ووعدهم ببيع حصن حارم لهم مقابل مبلغ من المال، وليثبت حسن نيته لهم، قام بإطلاق سراح بعض الأسرى الصليبيين المحتجزين هناك (158). الأمر الذي صعّد التوتر بين الملك الصالح وكمشتكين، وترتب عليه أن ألقى الملك الصالح القبض على كمشتكين وطلب منه تسليم حارم، فرفض فأمر الملك الصالح بقتله (159).

أما بالنسبة لحلب "فعسكرها قليل، وملكها الصالح صبي، وصلاح الدين بعيداً عنها بمصر لا يستطيع الدفاع عنها"، هكذا ظن الصليبيون حسب رواية ابن الأثير (160). بهذه الصورة كان الطريق مهدياً أمام بوهموند كي يستولي على حصن حارم الذي يفصل بينه وبين حلب. لذلك لم يجد صعوبة في إقناع كونت فلاندرز بمساعدته في الاستيلاء على هذا الحصن، وبخاصة إذا ما عرفنا أن سهولة الاستيلاء عليه تناسب طبيعة المشروعات التي ذكرها فيليب للملك بلدوين الرابع في حضور كل من ريموند وبوهموند اللذين من المؤكد أنهما أطلعا فيليب على أحوال حلب. وربما فكر فيليب في عدم العودة إلى أوروبا دون

أن يحقق شيئاً، وربما كان الأنسب له أن يساعد بوهيمند في الاستيلاء على حارم من المسلمين، مستغلاً غياب صلاح الدين عنها، ومن ثم رحل بوهيموند إلى أنطاكية ليعد نفسه وقواته لهذا الأمر(161) .

أما بالنسبة لفيليب كونت فلاندرز فبعد فترة قضاها في تضليل الملك بلدوين الرابع بالتظاهر بالموافقة على الاشتراك في الحملة على مصر، رحل فيليب بصحبة كونت طرابلس إلى أنطاكية، وقد قدم له الملك بلدوين الرابع إمدادات قدرت بمائة فارس وحوالي ألفين من المشاة (162) وكان السبب الذي دفع الملك بلدوين الرابع إلى ذلك هو أنه تلقى سفارة في بيت المقدس من قبل كونت فلاندرز، وكانت السفارة برئاسة المحامي بيثون - أحد الذين رافقوا حملة الكونت - ومجموعة أخرى من المفاوضين، وقد تشاوروا مع المملكة حول حملة يقوم بها الكونت بمعونة مملكة بيت المقدس "حتى لا يعتبر الكونت في نظر الناس متراخياً، أو أنه أمضى وقته بلا عمل"، واتفق الكونت فيليب، وبلدوين الرابع، وبوهيموند الثالث، وريموند الثالث على مهاجمة مدينتي حماة وحارم (163) .

ومن المرجح أن الملك بلدوين الرابع أراد الإفادة من الحملة الفلمنكية لمهاجمة الأراضي الإسلامية التي يسيطر عليها صلاح الدين، ومحاولة إسقاط حماة وحارم التي كانت تفصل بين الأراضي الصليبية وحلب. وربما كانت خطط الصليبيين تتجه إلى محاولة السيطرة على حلب نفسها، وذلك للحيلولة بين صلاح الدين وبين مشروعه في توحيد الجبهة الإسلامية، والتي لم تكن خارج نطاقها سوى حلب والموصل آنذاك.

على أية حال، فقد سارت الحملة الفلمنكية إلى شيرر (164). ثم توجه كونت فلاندرز إلى طرابلس، وبعد أن اتخذ كل الاستعدادات اللازمة للحرب خرج بصحبة ريموند الثالث كونت طرابلس قاصداً حماة فوصلوها يوم الاثنين في الرابع عشر من نوفمبر 1177م، وفي اليوم التالي بدأ الحصار ولمدة أربعة أيام لم يحقق الصليبيون شيئاً، "ولم يظفروا بطائل" (165). وفي رسالة لصلاح الدين إلى الخليفة العباسي في بغداد حول هذا الموضوع، جاء فيها أن القتلى من الصليبيين زاد على ألف رجل، لذلك انسحبت الحملة الفلمنكية، بسبب

اتصال جيوش دمشق وحمص, وبعلبك بعضها ببعض والتي كانت تخطط للهجوم على معسكر الصليبيين(166)

بعد أن فشلت الحملة على حماة, اتخذت الحملة طريقها إلى الشمال لينضموا إلى بوهيموند الثالث أمير أنطاكية, لتنفيذ الشق الآخر من الاتفاق, وهو الاستيلاء على حارم, والتي سيكون استردادها ذا قيمة خاصة بالنسبة لأنطاكية(167). فتوجهها إلى حارم حيث قابلهم بوهيموند في الطريق حسبما تم الاتفاق من قبل(168)

كان أمر حارم في ذلك الوقت في أيدي أتباع سعد الدين كمشتكين, الذين رفضوا إعادة قلعة حارم إلى الملك الصالح إسماعيل(169). الأمر الذي أطمع صليبي الحملة الفلمنكية في مهاجمة حارم(170), وقد انضم إلى تلك الحملة أيضاً عدداً من فرسان الداوية والإستبارية, ورويين حاكم قيليقية الأرمني(171). وبعد أن اكتمل الحشد بدءوا في حصار حارم مباشرة. ولم يحدد المؤرخون بصفة عامة تاريخ بدء هذا الحصار, ويرجح أنه كان في الثامن عشر من نوفمبر 1177م(172).

ومهما يكن من أمر, فقد بدأ الصليبيون في نصب معسكرهم حول حارم من كل ناحية, وحالوا بين من بها وبين الخروج, كما سدوا كل الطرق في وجه من يريد الاقتراب منها أو أراد مساعدة أهلها, كما قاموا ببناء أكواخ من الخشب, وسوروا معسكرهم بأسياخ قوية للمحافظة على أمتعتهم حتى لا تجرفها مياه الأمطار المتدفقة(173). وفي الوقت نفسه نصبوا المجانيق والسهل لم استعدادا لاقتحام حارم(174) كذلك تسابق المسيحيون المقيمون في نواحي حارم بحماسة في مساعدة الصليبيين حيث جلبوا المؤن من أنطاكية إلى المعسكر الصليبي والمناطق المجاورة لها " فندم من بحارم حيث لم يسلموها إلى الملك الصالح", بعد أن رأوا حماسة الصليبيين في حصارهم(175)

لم يلبث أن هاجم الصليبيون أسوار حارم من الجهة الجنوبية, واستطاعوا أن ينقبوه, كما استطاعوا أن ينقبوا جزءاً من السور من الجهة الشمالية, غير أن السور انهار على من تحته مما أدى إلى توقف القتال(176). بالإضافة إلى ذلك يذكر وليم الصوري سبباً آخر

الحروب الصليبية - حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى

لتوقف القتال, وهو انغماس كبار رجال الحملة في مفاسد الشراب وغيرها من الملذات الجسدية, وألعاب الحظ, وانصرفوا عن أمور الحرب وأهملوا متطلبات الحصار (177), الأمر الذي مكن أهل حلب من إرسال من يطلب الأمان والنجدة من الملك الصالح في حلب. فبعث الأخير بقوات بقيادة الأمير "طمان" لدعم حامية حارم. فتسلل هؤلاء إلى الحصن أثناء الليل, واحتلوا القلعة وتقوى بهم من كان بحارم, بعد أن عوضوا خسائرهم في الرجال أثناء هجمة الصليبيين الأولى (178).

وفي الوقت نفسه أحرق جند الصالح بالمكلفين من الصليبيين بجلب المؤن إلى المعسكر الصليبي وأخذوا "ينحطفون من يمكنهم أخذه من الفرنج ويحفظون أطراف البلد". وهكذا انهارت معدات الحصار الصليبية, وانهارت معها الروح المعنوية للجنود, وبخاصة بعد أن صرح فيليب كونت فلاندرز برغبته في العودة إلى بيت المقدس (179).

في هذا الوقت كان "طومان" مبعوث الملك الصالح قد وصل إلى تفاهم مع كبار الحملة الصليبية. حيث عرض عليهم الرحيل عن حارم مقابل مبلغ من المال يعوضهم عما أنفقوه في حصارهم لها. كما هددهم بوصول صلاح الدين إلى الشام "فصلاح الدين واصل وما لكم بعد حصوله عندكم حاصل" (180) وذكر لهم أن من بحارم قد يسلموا إلى صلاح الدين قلعته (181). ولا شك أن قيام صلاح الدين بنجدة حارم لن يكون في مصلحة أي من الطرفين (الحملة الفلمنكية - والزنكيين) (182), ولعل هذا يفسر سهولة الاتفاق الذي تم بين الملك الصالح وزعماء الحملة الفلمنكية.

وبعد أربعة أشهر من الحصار, وتحت إلهام فيليب وفرسان الداوية على قبول العرض, وافق بوهيموند ورحلت الحملة الفلمنكية عن حارم في الثامن عشر من مارس 1178م (183)

لقد انتقد المؤرخون المحدثون أعمال الحملة الفلمنكية, وكان أكثر المنتقدين هو المؤرخ الفرنسي جروسية, الذي اعتبرها قصر نظر في التفكير السياسي الصليبي, وذلك لأن الزنكيين في حلب هم حلفاء طبيعيين للقوى الصليبية, وتجمعهما مصالح مشتركة أهمها

الوقوف في وجه صلاح الدين, وكان الأجدى أن يحافظوا على علاقة الود معهم ليكسبوا ثقتهم, ويدعموا الجبهة المعادية له(184).

على أن ما يهمننا هنا من نتائج الحملة الفلمنكية, انخيار التحالف الصليبي - الزنكي, حيث استغل صلاح الدين فرصة غياب فيليب كونت فلاندرز في شمال الشام ومعه معظم جيش المملكة, وقام بمهاجمة مملكة بيت المقدس, لتخفيف الضغط عن حارم, الأمر الذي أدى لوقوع معركة تل الصافية (مونتجيسارد) (185)

من بين النتائج المباشرة أيضاً للحملة الفلمنكية, فقدان الصليبيين لفرصة التحالف مع الحلبين الذين طالما استنجدوا بهم ضد صلاح الدين. وهكذا قدر لمملكة بيت المقدس وملكها المجذوم أن يدفع ثمن اعتداء الحملة الفلمنكية على حماة وحارم(186).

أما عن علاقة مملكة بيت المقدس بالإمارات الصليبية (كونتية طرابلس, وإمارة أنطاكية), فالواقع أن تلك الإمارات شكلت جانباً في السياسة الخارجية للملك بلدوين الرابع, ويلاحظ اختلاف وتباين تلك السياسة من إمارة إلى الأخرى وفقاً لموقعها, وأهميتها بالنسبة للمملكة الصليبية. كما يلاحظ أن هذه السياسة كانت تصل أحياناً إلى حالة التحالف, وأحياناً أخرى إلى حالة العداء.

بصفة عامة, كان لملك بيت المقدس حقوق في تلك الإمارات تظهر عندما يخلوا العرش في إمارة من الإمارات, أو كان متولي الحكم حدثاً صغير السن, أو حين يقع نزاع سواء داخل الإمارة أو بين إمارتين, فإذا مات أمير من الأمراء دون أن يترك وريثاً في سن البلوغ, صار لملك بيت المقدس الحق في أن يكونوا أوصياء (187).

أما بالنسبة لعلاقة مملكة بيت المقدس بكونتية طرابلس في عهد الملك بلدوين الرابع, فقد بدأت أول اتصالات بينهما, عقب تولي الملك بلدوين الرابع الحكم خلفاً لأبيه الملك عموري سنة 1174م, حيث تولى ريموند الثالث كونت طرابلس الوصاية على بلدوين الرابع (188), وقد تولى ريموند الوصاية مرتين, الأولى امتدت سنتين (1174-1176م), والثانية امتدت أيضاً سنتين (1183-1185م) (189). وكانت هذه هي المرة الأولى التي

الحروب الصليبية - حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى

يتولى فيها أمير إمارة صليبية الوصاية على المملكة, إذ جرت العادة أن يتولى ملوك بيت المقدس الوصاية على بقية الإمارات.

ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقة تأخذ شكل الريبة والشك, بل والعداء المتبادل بين الطرفين(190). يوقفنا وليم الصوري على أسباب العداء بين بلدوين الرابع وأمراء الدويلات الصليبية (طرابلس وأنطاكية), فيذكر أنه في سنة 1180م قدم إلى المملكة ريموند الثالث كونت طرابلس, وبوهيموند الثالث أمير أنطاكية ومعهما مجموعة من الفرسان لحراستهما, الأمر الذي أزعج الملك بلدوين الرابع أشد الانزعاج, حيث شك في أسباب قدومهما, وظن أن هذين الأميرين ما جاءا إلا للإطاحة به عن العرش, والاستيلاء على المملكة(191) ومن جانب أمير طرابلس وأنطاكية, فقد غضبا من نظرة الملك وباروناته إلى قدومهما بعين الشك والارتياح وعدم الارتياح, لذلك كرا راجعين إلى ديارهما بعد أداء مراسم الحج(192).

والواقع أن هذا الموقف تسبب في قطع العلاقات بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس لمدة عامين, وبذلك فقد الملك مساعدة أمير طرابلس. لذلك نرى في مايو 1180م أن مملكة بيت المقدس تعقد بمفردها هدنة مع صلاح الدين لمدة عامين(193), ولم تشمل تلك المعاهدة كل الصليبيين في بلاد الشام, حيث شملت مملكة بيت المقدس وحدها دون بقية الإمارات الصليبية الأخرى(194) لهذا أطلقت هذه الهدنة يد صلاح الدين في شمال الشام, فقد استغل صلاح الدين عدم شمول هدنته بقية الإمارات الصليبية فهاجم كونتية طرابلس, مما اضطر كونت طرابلس ريموند الثالث إلى الإسراع بعقد هدنة ماثلة لهدنة بلدوين الرابع مع صلاح الدين(195).

في عام 1182م توترت العلاقات مرة أخرى بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس, وذلك لأن مجموعة من رجال طرابلس أوغروا صدر الملك بلدوين الرابع ضد كونت طرابلس ريموند الثالث, وأوهموا الملك بلدوين الرابع أن الكونت ينوي القدوم إلى مملكة بيت المقدس لخلعه عن العرش والجلوس مكانه, وقد أصغى الملك لتلك

الوشاية(196) , ولم يقف الأمر عند هذا الحد, بل زادت الشكوك لدى الملك بلدوين الرابع وبخاصة بعد أن أفتتته أمه آجنيس, وخاله جوسلين الثالث أن الكونت ريموند يتآمر عليه, لهذا بادر الملك في الحال بإرسال رسالة إلى الكونت ريموند الثالث يرفض فيها السماح له بدخول مملكة بيت المقدس, ومنعه من دخول أملاك زوجته بالجليل وطبرية(197) .

لقد أغضبت هذه الرسالة الكونت ريموند وعددها إهانة له وجرحاً لكبريائه, ولذلك عاد يشتت غضباً إلى طرابلس(198). واستناداً إلى رواية وليم الصوري فقد كان من مصلحة قلة من النبلاء إبعاد ريموند الثالث عن الملك بلدوين الرابع, وذلك للسيطرة على الملك, واستغلال مرضه وضعفه في تحقيق مصالحهم الشخصية(199) .

أما أغلب نبلاء المملكة وبخاصة النبلاء المحليون فقد انزعجوا أشد الانزعاج حينما علموا بخبر العداء بين الملك والكونت, فقد خافوا أن يؤدي حرمانهم من حماية كونت طرابلس لهم إلى سقوط المملكة في يد المسلمين, "وعندئذ يحق عليهم مقولة: كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب(200) .

عندئذ توسط بعض بارونات المملكة - ولعلمهم من حزب البارونات الوطنيين - في الصلح بين الكونت ريموند الثالث والملك بلدوين الرابع, حيث قبل الملك " كارها أن يرى ريموند الثالث" الذي استطاع أن يبرئ ساحته من تلك التهم التي ألصقت باسمه(201) . وبعدها عاد السلام بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس, وعهد الملك بلدوين الرابع لريموند الثالث بالوصاية على ولي العهد بلدوين الخامس, وذلك في العشرين من نوفمبر سنة 1183م, واستمر ريموند وصياً على المملكة حتى بعد وفاة الملك بلدوين الرابع سنة 1185م(202).

يتضح مما سبق, أن العلاقة بين مملكة بيت المقدس وبين كونتية طرابلس كانت علاقة وصاية وتبعية في بعض الأحيان, وفي بعض الأحيان الأخرى كانت تشهد حالات من القلق والاضطراب.

أما عن علاقة المملكة بإمارة أنطاكية, فقد كانت علاقة مختلفة عن علاقتهم بإمارة

طرابلس وذلك ربما لبعد إمارة أنطاكية عن مملكة بيت المقدس, بخلاف طرابلس التي كانت قريبة بعض الشيء .

كان بوهيموند الثالث أمير أنطاكية تربطه ببلدوين الرابع علاقة قرابة ربما تقف على قدم المساواة مع قرابة ريموند الثالث لبلدوين الرابع (203). لذلك كان من حق بوهيموند الثالث أن يطالب بالوصاية على الملك بلدوين الرابع, ومع ذلك لم يتقدم للمحكمة العليا بطلب الوصاية كما فعل ريموند الثالث, ربما بسبب مشاغله الداخلية من ناحية, ويُعد الإمارة عن المملكة من ناحية أخرى, وفي هذه الحالة يكون كونت طرابلس هو الأفضل لتولي الوصاية إذ يمكن لكونتيته أن تبادر بتقديم النجدة لمملكة بيت المقدس بسرعة أكبر من نجدة أنطاكية(204)

ومع ذلك قدر لبوهيموند الثالث أمير أنطاكية أن يلعب دوراً سلبياً في سياسة مملكة بيت المقدس, حيث قام بوهيموند بما كان من شأنه أن يشغل الملك بلدوين الرابع ومملكته, وعرض سوء سلوكه المملكة والإمارة إلى الخطر(205) .

فقد استغل بوهيموند موت مانويل كومنين إمبراطور بيزنطة سنة 1180م, وقام بتطليق زوجته تيودورا - ابنة يوحنا أخو الإمبراطور مانويل كومنين, وأخت ماريه أرملة عموري الأول - واتخذ لنفسه امرأة ساقطة تدعي "سبيل" Sibylle (206) كخليفة له, والتي وصفها المصادر بأنها "امرأة ساقطة, غير شريفة" (207), وكان ارتباط بوهيموند بها وبالأعلى الصليبيين عامة, وعلى إمارة أنطاكية بصورة خاصة. ويؤكد ذلك ما ذكره ابن الأثير من أنها كانت تقوم بالتجسس على الصليبيين لحساب صلاح الدين حيث كانت "تراسله وتماديه, وتعلمه بالأمور التي تؤثر", وزاد أبو شامة على ذلك قوله وكانت "في مولاة السلطان, عيناً له على العدو" (208) لهذا حاول بطريك أنطاكية في إقناع بوهيموند بأن يترك حياة "الدعارة الخسيسية التي يجهاها جهراً" (209). ولما عجز عن ذلك, أصدر البطريرك قرار الحرمان ضد بوهيموند, كما أصدر قرار الحرمان أيضاً ضد الإمارة بأسرها, فألقى قرع الأجراس, حتى لم يعد يدفن الموتى, وتوقفت بذلك حركة الحياة في الإمارة, لكن

بوهيموند لم يمثل لذلك القرار واستمر في خطيته، وعامل البطرك والأساقفة الأنطاكيين كما لو كانوا أعدائه، ولم يتورع عن نهب ما حوته الكنائس والأديرة من النفائس المقدسة (210). ويذكر وليم الصوري أن بوهيموند الثالث حاصر البطريك وبقية رجال الدين في قلعة تابعة للكنيسة، وقام بضرب القلعة "كما لو كانت قلعة من قلاع العدو". واشتعلت بذلك حرب أهلية في الإمارة (211) ورأى أصحاب الخبرة أنه إن لم يحل ذلك النزاع فإن الإمارة سوف تسقط في يد المسلمين (212).

إزاء هذه المشكلة، وبدلاً من التفرغ لمواجهة صلاح الدين اضطر الملك بلدوين الرابع إلى التدخل لإنهاء النزاع بين الأمير والكنيسة. حيث عقد الملك بلدوين الرابع مجلساً حضره هرقل بطريك بيت المقدس، وعدد من كبار النبلاء ورجال الدين، وتشاوروا فيما ينبغي اتخاذه من سبيل لحل المشكلة في أنطاكية، وخلال المجلس استبعد الملك بلدوين الرابع استخدام القوة في حل تلك المشكلة، خوفاً من أن يستغل المسلمون هذا الانقسام في الإغارة على الكيان الصليبي، أو خوفاً من لجوء بوهيموند إلى صلاح الدين، ورأى الملك البدء بإرسال وفد للأمير بوهيموند الثالث لإسداء النصيح والتحذير له، لإنهاء النزاع بينه وبين كنيسة إمارته (213).

كان الوفد الذي أرسله الملك بلدوين الرابع لإمارة أنطاكية على رأسه هرقل بطريك بيت المقدس، وبصحبه رينو دي شاتيون (أرناط) ومقدمي الداوية والإسبتيارية فضلاً عن بعض كبار رجال الدين بالمملكة، واصطحبوا معهم أيضاً ريموند الثالث كونت طرابلس الذي كان أشد الناس مودة لبوهيموند الثالث (214).

وطبقاً لرواية وليم الصوري فإن الداعي الذي جعل الملك بلدوين الرابع يتدخل من أجل حل النزاع في إمارة أنطاكية، هو تخوفه من أن ترميه البابوية والغرب الأوربي بالإهمال، وخوفاً من أن يُتهم بسوء النية ولؤم القصد (215). لذلك فعندما وصل وفد المملكة إلى اللاذقية، عقدوا اتفاقاً بين الأمير بوهيموند الثالث وبين بطريك أنطاكية، ونص الاتفاق على إلغاء قرار الحرمان عن بوهيموند الثالث، مقابل أن يقوم بطرد خليلته

الحروب الصليبية - حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى

سيبيلا، ويرد زوجته الشرعية تيودورا، وأن يقوم الأمير برد جميع الممتلكات الكنسية التي استولى عليها إلى بطريك وأساقفة الإمارة (216). وبذلك نجحت جهود الملك بلدوين الرابع في حل الأزمة في أنطاكية .

إلا أن التوتر بين بوهيموند الثالث وباروناته زاد لدرجة أن بوهيموند قام بنفي عدد من كبار نبلائه، والذين فروا إلى أرمينيا، وهناك استقبلهم أميرها "روبن الثالث Robin" (1175-1185م) (217) أحسن استقبال، الأمر الذي أوجد عداءً بينه وبين بوهيموند الثالث، ولحسن حظ الصليبيين أن صلاح الدين لم يخرج من مصر في تلك الفترة التي شغلوا فيها بمشاكلهم الداخلية التي كان لبوهيموند الفضل في إثارتها إلى حد كبير. والواقع أن سياسة بوهيموند تلك حرمت الصليبيين في بلاد الشام من مساعدة بيزنطة، وأرمينيا، وقبرص، تلك المساعدة التي كانوا في حاجة إليها لتجنب هذه الكارثة (218).

ومما لا شك فيه أن تلك الأحداث تركت آثارها على العلاقات بين المملكة والإمارات الصليبية، ولا شك أن مثل تلك الصراعات وغيرها أجهزت على جانب كبير من قوة الصليبيين، وأدت إلى انتشار القلاقل والاضطرابات، كما أنها أثرت على الأوضاع السياسية في مملكة بيت المقدس، وصارت الإمارات الصليبية مجرد حلف مفكك ومهدد بالانهيار (219).

ذلك عرض لسياسة الملك بلدوين الرابع الخارجية مع البابوية، والغرب الأوربي، وبيزنطة، وبقية الإمارات الصليبية

الهوامش

- (1) محمود محمد الرويضي: "قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام زمن الحروب الصليبية" مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، عدد (41)، يوليو 2001م، ص 570.
- (2) يوشع براور: الاستيطان الصليبي، ص 193، 244.
- (3) La Monte, Feudal Monarchy, p.203
- (4) John G. Rowe, " Alexander III and the Jerusalem Crusade and overview of Problems and Failures " in M.M., p. 112
- (5) Ibid., p.112
- (6) بلغ الصدام بين فردريك بارباروسا والبابا اسكندر الثالث مرحلة حرجة من التوتر حول مسألة التقليد العلماني، خاصة بعد أن عقد بارباروسا مجلساً في مدينة بافيا أعلن فيه شرعية البابا المعارض فيكتور الرابع وذلك نكايه في البابا الشرعي اسكندر الثالث، الأمر الذي شغل البابا اسكندر الثالث عن لعب أي دور فعلي تجاه المملكة خلال الفترة من 1159 وحتى 1177م وهو العام الذي شهد الصلح بين البابا اسكندر الثالث وبين فردريك بارباروسا. انظر: اسحق عبيد: روما وبيزنطة، ص 272-273، 277.
- (7) ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 185.
- (8) Hamilton, The Leper King, p. 164.
- (9) Rowe, " Alexander III and the Jerusalem", p.129
- (10) Migne (J.P.), P.L., Vol. 200, pp.12 96-1297 See also: Rowe, op. cit., p.129
- (11) Roger of wendover, Flowers of History, tran. From Latin by Gilles J. A. ,(London 1849), vol. II, p.
- (12) اسحق عبيد: روما وبيزنطة، ص 286.

(13) Lilie, Byzantium, P. 215.

(14) عن الحملة الفلمنكية. انظر: ما يتقدم من هذا البحث .

(15) Krey (A.C.), "William of Tyre", Spec. Vol. 16, No. 2, p.160, Note 1, p. 157. See also: Baldwin, Raymond III, pp. 31-33

مجمع اللاتيران الثالث: عقد هذا المجمع في روما، وقد حضره ثلاثمائة وعشرة أساقفة، من المندوبين من إيطاليا، وفرنسا، وإنجلترا، والدنمارك، وأيرلندا، واسكتلندا، وألمانيا، وأسبانيا، وهنغاريا، والممالك الصليبية في الشرق، وقد أقر هذا المجلس سبعة وعشرين تشريعاً كنسياً، ما يهمننا منهم قرارين هما: القرار رقم خمسة وعشرين الذي نص على تحريم الاتجار مع المسلمين وتحريم بيع الأسلحة لهم. والقرار الآخر: رقم سبعة وعشرين، والذي نص على أن يمتلك الأشخاص المجذومين، الذين يعيشون في عزلة عن المجتمع مُصلّى خاص بهم مع كاهن لهم. انظر: مارينو سانوتو: كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، إعداد ومراجعة: البروفسور بلليفرينورونكاليا والدكتور سمير الخادم، نقله إلى العربية الأب سليم رزق الله، مؤسسة دار الريحاني، ط. بيروت 1991م، ص7-8؛ روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، ضمن كتاب الموسوعة الشامية، ج39، ص297-298.

وللمزيد عن تفاصيل مجمع اللاتيران الثالث وقراراته. انظر:

Third Lateran Council (1179) in Catholic Encyclopedia
.in www. Medieval Source book .com

(16) مارينو سانوتو: كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب، ص7-8

(17) عفاف سيد صبره: العلاقات بين الشرق والغرب، علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من 1100-1400م، دار النهضة العربية، ط. القاهرة 1983م، ص85-86.

(18) Baldwin , The Decline, in Setton, Vol. I, p. 596.

(19) مارينو سانوتو: المصدر السابق، ص8.

(20) Migne (J.P.), P.L., Vol.200, pp.1294-1297 ; Rowe, " Alexander III and the Jerusalem", p.130.

(20) عن نص الرسالة انظر:

Migne (J.P.), P.L., Vol. 200, pp. 1296-1297.

(21)Hamilton, The Leper King, p. 164.

(22)ماير: تاريخ الحملات الصليبية, ج1, ص187؛ اسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص286. وانظر أيضاً:

Deschamps , La Défense , pp. 65-66.

(23)عن نص رسالة البابا لوسيوس الثالث إلى الملك هنري الثاني. انظر: روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ, ضمن كتاب الموسوعة الشامية, ج39, ص311-312 .

(24) Mayer, Henry II, p727.

(25) محمود الرويضي: قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام, ص577.

(26) Saphadini, totius multitudinis Sarracenorum domini, Fratrī Saladini, ad Lucium Papaum, de eodem negotio, March 31, 1183" in RHGF, t. XVII, p.623 ; Rohricht (R.), Regesta, no.626, p.166.

وأيضاً انظر: نظير سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي, مكتبة النهضة المصرية, ط.القاهرة 1961م, ص18-19؛ عادل عبد الحافظ حمزة: العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط.القاهرة 2001م ص391-392.

(27) Saladini, omnium Regum Orientalium Facienda mutua Perumutatione Captiverum tam Christianorum quam Sarracenorum, in RHGF, t. XVII, p.623; Rohricht (R.), Regesta, no.635, p.168.

(28) محمود الرويضي: المرجع السابق, ص577-578.

(29) عن نص رسالة الملك بلدوين الرابع إلى البابوية والغرب الأوربي سنة 1184م أنظر:

Balduini IV, Regis Jerosolymitani, ad Partes Occidentales Profectos ad Perquirendum anxilium christianis Terrae Sanctae, de Statu Terrae Sanctae, 1184, in RHGF, t. XVII (Paris 1778), p.624

وانظر أيضاً: ملاحق الرسالة, ملحق رقم 4.

(30) ماير: تاريخ الحملات الصليبية, ج1, ص188.

(31)Hamilton, The Leper King, p. 164.

(32)Ibid., p. 64.

(33)Hamilton, "Manuel I Commenus and Baldwin IV of Jerusalem", in Crusaders, Cathars and the Holy Places, pp. 354-355

وانظر: محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص355-356.

(34) Lilie, Byzantium, P.

(35)Ibid., P.

(36) Hamilton, "Manuel I Commenus and Baldwin IV of Jerusalem", pp. 354-355

(37) عن الآراء المختلفة في تفسير أسباب رفض مانويل للزواج من الأميرة ميليزند. انظر:

Kinnamos, Deeds, pp.158-160 ; Choniates, Annales, pp.

184- 185 ; Lilie, Byzantium, pp.65-66 وانظر أيضاً: إسحق عبيد:

روما وبيزنطة, ص224-225.

(38) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج3, ص449.

(39)Lilie, op. cit., P.217.

عن زواج بليان ايبيلين من ماريه انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص211.

(40)Lilie, op. cit., P.

(41)Hamilton, Hamilton, "Manuel I Commenus and

Baldwin IV of Jerusalem", p. 355

(42)Lilie, Byzantium, P.

(43)Ibid., P.217

(44) روبرت كلاري: فتح القسطنطينية على يد الصليبيين, ت. حسن حبشي, القاهرة 1964م, ص 51-52.

(45)Hamilton, "Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem", p. 355

(46)Lilie, Byzantium, P.

(47) عن تفاصيل أوضاع بيزنطة خلال تلك الفترة, وتوتر علاقتها مع البنددية, وألماني, وصفلية, والسلاجقة. انظر:

Kinnamos, Deeds, p. 211-224 ; Lilie, op. cit., PP.210-211, 315-316.

(48) عن تفاصيل معركة ميروكيغالون انظر:

Kinnamos, Deeds, pp. 221-224; Choniates, Annales, pp. 99-112; Vasiliev A. A., History of the Byzantine Empire, Vol.II, pp. 428-429 ;Lilie, op. cit., pp.211-214.

وأنظر أيضاً: علي عودة الغامدي "معركة ميروكيغالوم 1176م", مجلة كلية الشريعة, جامعة أم القرى. مكة المكرمة, العدد (1), عام 1409هـ, ص 123-150؛ محمد زكي نجيب: علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين (1081-1185م) رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب-جامعة القاهرة عام 1988م, ص 184 وما بعدها؛ سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص 339-354؛ محمد مؤنس عوض: الإمبراطورية البيزنطية, دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة, ط. القاهرة 2008م, ص 326-328.

(49) رنسمان: الحروب الصليبية, م ج2, ص 667. وانظر :

Hussey, "Byzantium and the Crusades, 1081-1204", (ed.)

Setton, vol.2, p.140.

(50) رنسمان: المرجع السابق، م ج 2، ص 668.

(51) نفسه، م ج 2، ص 668.

(52) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص 179-180.

(53) Hamilton, The Leper King, p.112.

(54) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج 4، ص 209. وأنظر:

Lilie, Byzantium, P.119.

(55) عن نص رسالة مانويل إلى البابا اسكندر الثالث. انظر:

Manuelis I Comnenus, Graecorum Imperatoris, ad Pope Alexander III in R.H.G.F., T. XVI p. 952

(56) تشكلت العصبة اللومباردية في مايو 1177م، عقب عقد مؤتمر البندقية أبريل

1177م الذي حضره كل من البابا اسكندر الثالث (1159-1181م) والإمبراطور

فردريك برباروسا، وممثلي قومونات المدن اللومباردية بشمال إيطاليا، حيث تم الاعتراف

باستقلال هذه القومونات، وتم التصالح بين البابا والإمبراطور، وبذلك انتهت الخلافات بين

البابوية وألمانيا والمدن اللومباردية، وتلك الخلافات التي اعتاد مانويل أن ينتفع بها لتحقيق

سياسته في أوروبا. وتعتبر هذه الاتفاقية ضربة موجهة لسياسة مانويل، وأصبحت بيزنطة هي

التي تحتاج الحماية. وهكذا كان موقف مانويل في أوروبا ضعيفا للغاية. فهو عضو غير مقبول

في الأسرة الأوروبية أو كحليف للإمبراطورية أو للبابوية التي تهيمن على القضية الصليبية.

انظر: حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص 180-181.

(57) Hussey, "Byzantium and the Crusades, 1081-1204",

(ed.) Setton, vol.2, p.137.

(58) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج 4، ص 205، 207.

(59) Lilie, Byzantium, P. 319

(60) وليم الصوري: المصدر السابق، ج 4، ص 205، 207.

الواقع أن المصادر البيزنطية لم تعطنا أية إشارات حول حملة 1177م وهو أمر يدعو

للتساؤل؟. فالمؤرخ البيزنطي كيناموس لم يشر إلى الحملة الصليبية البيزنطية على مصر لا من

قريب ولا من بعيد، وكل ما ورد لديه في نهاية كتابه هو أن الإمبراطور مانويل بعث بعد ربيع

عام 1176م، بمائة وخمسين سفينة حربية لغزو مصر، بينما ذهب هو نفسه بقواته لمحاربة قلج ارسلان. ولذلك افتقر إلى القوات الكافية للحملة ضد مصر، وهنا توقف كلامه عن هذا الموضوع، ومن ثم جاءت معلوماته ناقصة ومبتورة في هذا الشأن، وبعدها واصل كلامه عن هزيمة الإمبراطور في ميريوكيفالون ثم واصل كلامه حتى وفاة مانويل ثم انتهى تاريخه عند ذلك الحدث. أما خونيتاس فقد لازم الصمت حول موضوع الحملة؟. انظر:

Kinnamos, Deeds, p. 224 ; Hamilton, The Leper King, p. 164

(61)Ernoul, Le Chronique, pp. 33- 34.

(62) Lilie, Byzantium, P.218.

(63) Ibid., P.218

وانظر:

Mayer (H.E.), "Henry II and the Holy Land", in E.R.H., 97 (1982), p.727

(64) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص205-206.

(65) نفسه، ج4، ص206.

(66) نفسه، ج4، ص210.

(67) Byzantium, PP. 319-320

(68)Le Royaume Latin de Jérusalem , p. 55

(69)Mayer (H.E.), "Henry II and the Holy Land", in E.R.H., p.727.

(70) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية، ص360.

(71) ليون وديفيد جاكسون: صلاح الدين، ص144.

(72) كان صلاح الدين يدرك أن الصليبيين يخططون لمهاجمة مصر. لكنه افترض بأن هذا يحدث بالارتباط والتعاون مع الأسطول الصقلي، ففي خطاب أرسله إلى الخليفة العباسي أطلعته أن ملك صقلية يستعد للهجوم على مصر بمساعدة الصليبيين. لذلك صرف السلطان صلاح الدين شتاء 1176-1177م يضع مصر وضع الاستعداد لهجوم مرتقب، فأشرف بنفسه على إكمال بناء الدفاعات الجديدة في دمياط، والإسكندرية، وتيس، كما بدأ بتقوية

وتجديد تحصينات أسوار القاهرة. وفي خطاب من إنشاء القاضي الفاضل, يُفهم منه أن السلطان أرسل سفارة إلى الجنويين لمفاوضتها في استيراد مواد لبناء السفن. لكن لم تصل أية سفن من الجمهوريات الإيطالية للرد عليه. لذلك حرك صلاح الدين جيشه إلى فاقوس غرب الدلتا, وفي نهاية يوليو 1177م استعد لصد هجوم الحملة الصليبية المشتركة. انظر: مالكوم ليون وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص 139-143 وانظر:

.Hamilton , The Leper King, p. 116

(73)Lilie, Byzantium, P. 219

(74) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص 360-361.

من بين المراجع التي هولت في أمر هذا المشروع وذكروا أنه أضاع على الصليبيين فرصة لغزو مصر وفصلها عن الشام الإسلامية, ما ذكره المؤرخ ليلي Lilie الذي أشار إلى أن صليبي المملكة أضاعوا فرصة جيدة وبشكل حاسم لتحسين موقف الدول الصليبية. بينما اعتبر المؤرخ بلدوين مارشال هذه الحملة بمثابة فرصة ثمينة, أضاعتها المملكة, مُعتبراً أن كل الظروف كانت مواتية للصليبيين بعد أن وضعت بيزنطة إمكانيات قواتها البرية والبحرية لمشاركة الصليبيين في غزو مصر

Archer and Kingsford, The Crusades, p.252; Brehier, Les Croisades, p. 340 ;Richard (J.) , Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 56 ; Baldwin, "The Decline ", Vol. I, p. 595 ; Lilie, Byzantium, p. 320.

(75) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص 207.

(76) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص 209-210.

(77) رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية, م ج2, ص 669.

(78) إسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص 279.

(79) الواقع أن تاريخ إقامة بلدوين ايلين في القسطنطينية غير محدد بالضبط, ومن المفترض أنه وصل إلى القسطنطينية قبيل فترة قصيرة من وفاة مانويل كومنين, وتسلم منه فديته التي قدرت بحوالي مائة وخمسين ألف دينار, ثم عاد الى المملكة. انظر:

Lilie, Byzantium , p.219, Note

(80)Ibid., p.219

(81)Ernoul, Le Chronique, p. 58 .

(82)Lilie, op. cit., p.

(83) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص257-259. وراجع أيضاً:

Lilie, Byzantium ,pp. 219-

(84)Ibid.,p.219

(85) روبرت كلارى: فتح القسطنطينية، ص51-52؛ رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية، مج2، ص688.

(86)Hamilton, "Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem", pp. 372-373

(87)Ibid., p.374

(88) عن تفاصيل هذه الأحداث. راجع:

Choniates, Annales, pp. 65-66 ; Hussey, "Byzantium and the Crusades, Setton, vol.2, p.145-146 .

(89)Hamilton, "Manuel I Comnenus and Baldwin IV, p. 375

(90)Hussey, op. cit., vol.2, p. 146

وراجع: إسحق عبيد: روما وبيزنطة، ص284.

(91)Hamilton, op. cit., pp.374-375.

(92) عن تفاصيل الثورة على أندرونيكوس، وتولية إسحاق أنجيلوس. انظر:

Choniates, Annales, pp. 65-66 ; Hussey, op. cit., vol.2, p.146; Edgar H. Mcneal, The Story of Isaac and Andronicus, Spec., Vol.9, No.3 (Jul., 1934), pp.324-329.

وراجع: مجهول: ذيل وليم الصوري، ص34-39؛ روبرت كلارى: فتح القسطنطينية، ص58-59؛ رنسمان: الحروب الصليبية، م ج2، ص692-693.

(93)La Monte," To what extent, p. 264.

(94)La Monte," To what extent, p. 264 .

(95)Tyerman, England and the Crusades 1095-1588, University of Chicago Press, Chicago and London 2004, p.48.

لقد ناقش الباحث بالتفصيل قرابة هنري الثاني بلدوين الرابع في الفصل الأول من دراسته
(96) Tyerman, op. cit., p.43.

وعن تفاصيل ثورة هنري الثاني انظر :

The Annals of Roger de Hoveden, Comprising The History of England and Other Countries of Europe, From A.D. 782 To A.D. 1201, Trans. From The Latin By Henry T. Riley, 2 vols., (London 1853), vol. I, pp. 374-382.

(97) زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص100.

(98) زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص100. للمزيد أنظر:

Tyerman, op. cit., pp.45-47.

في عام 1170م أعطي هنري الثاني وعداً راسخاً لرئيس أساقفة صور بشأن اعتزامه الرحيل إلى الشرق على رأس حملة صليبية. وقدم الوعد نفسه مرة ثانية لمبعوث البابا في أفرانثيس Avranches عام 1172م. وذلك تكفيراً عن توبته وندمه بصدد مسؤوليته في اغتيال توماس بيكيت رئيس أساقفة كانتربري, ووعد أيضاً في ضوء اتفاقية أفرانثيس بالقسم على اتخاذ الصليب في عيد الميلاد التالي أي عام 1173م, والرحيل في صيف العام التالي أي في بداية حكم الملك بلدوين الرابع. انظر: زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص100-101.

(99) نفسه, ص100.

كان الملك هنري الثاني منهمكاً خلال ذلك الوقت بعدة مشاكل, ربما كانت السبب في عدم خروجه على رأس حملة صليبية إلى القدس خلال عهد الملك بلدوين الرابع, من بين تلك المشكلات, انشغال الملك هنري الثاني بمقاومة الهجمات الإسلامية في أسبانيا, ولعل حملته الإسبانية هذه كانت السبب الشرعي لتأجيل حملاته لمساندة مملكة بيت المقدس, بالإضافة إلى ذلك انشغل هنري الثاني بنزاعه ضد أبنائه وضد لويس السابع. انظر :

Mayer, Henry II, pp. 721-723.

(100) زينب عبد القوي: المرجع السابق, ص99.

(101) رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية, مج2, ص668-669.

(102) عن تفاصيل معادة إفري Ivry التي تمت بين هنري الثاني ولويس السابع. انظر :

The Annals of Roger de Hoveden, vol. I, pp. 463-465.

(103) زينب عبد القوي: المرجع السابق, ص101.

وانظر Tyerman, England and the Crusades, p.44

(104) كان هنري الثاني وأبنائه يحكمون معظم دوقيات فرنسا مثل دوقيات نورماندي,

بريتاني, أكوتين, وكونتيات مين Maino , أنجو Anjou , لامارش La March ,

بواتو Poitou. انظر: زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص101

(105) زينب عبد القوي: المرجع السابق, ص102.

(106)The Annals of Roger de Hoveden, vol. I, p.464

(107) زينب عبد القوي: المرجع السابق, ص103.

(108)Balduini IV, Regis Jerosolymitani, ad Partes Occidentales Profectos ad Perquirendum anxilium christianis Terrae Sanctae, de Statu Terrae Sanctae, 1184, in R.H.G.F., t. XVII (Paris 1778), p.624 .

(109) Balduini IV, Regis Jerosolymitani, ad Partes Occidentales Profectos ad Perquirendum anxilium christianis Terrae Sanctae, de Statu Terrae Sanctae, 1184, in R.H.G.F., t. XVII (Paris 1778), p.624. ; Mayer , Henry II, pp.731-732 .

(110) زينب عبد القوي: الإنجليز والحروب الصليبية, ص106 .

(111) عن تفاصيل ضريبة عام 1184م التي أصدرها الملك هنري الثاني من أجل مساعدة مملكة بيت المقدس. انظر :

Lunt (W.E.), "The Text of the Ordinance of 1184 Concerning an Aid for the Holy Land", E.H.R., Vol. 37, No. 164 (Apr., 1922), pp.235-242.

(112) Tyerman, England and the Crusades, p.36.

(113) Ibid, p. 36.

(114) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص356.

(115) Hamilton , The Leper King, p.75.

- (116) إسحق عبيد: روما وبيزنطة, ص234.
- (117) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية, ص356-357.
- (118) Wieruszowski , The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades, in: Setton, vol. II, pp. 34-35. See also: Graham A. Loud: "Norman and the Holy Land in: The Horns of Hattin, ed. Kedar, Israel -Exploration Society, Jerusalem, Variorum. London 1992, p. 51 ; Richard (J.), Le Royaume Latin de Jérusalem , p. 55.
- (119) ذكرت المصادر الإسلامية أن هذا الأسطول كان يتكون من مائتي سفينة تحمل كل سفينة مائة وخمسون من المشاة وستة وثلاثين مركبا تحمل الخيل, وأربعون مركبا تحمل الأوزاد, وست سفن تحمل آلات الحصار والحرب, وقد قدرت أحد هذه المصادر عدد المقاتلين بثلاثين ألفاً بخلاف صناع المراكب ومتولي أبراج الزحف والدبابات والمنجنيقات. انظر: أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية, تحقيق إبراهيم الزبيق, ط.1, مؤسسة الرسالة, بيروت 1997م, ج2, ص334-335؛ ابن الأثير: الكامل, مج11, ص412-414؛ ابن شداد: النوادر السلطانية, ص48-49؛ ابن واصل: مفرج الكروب, ج2, ص11-15؛ المقرئزي: السلوك, ج1, ص58.
- (120) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص176-177.
- (121) رانسمان: تاريخ الحروب الصليبية, مج2, ص650. وانظر أيضاً:
- Grousset, Histoire de Croisades, Vol. II , pp. 617-618.
- ذكر ابن الأثير أن هذا الأسطول كان بقيادة ابن عم ملك صقلية. ربما يقصد به الكونت تانكرد. انظر: الكامل, م ج11, ص412 .
- (122) ابن الأثير: الكامل, مج11, ص412-413. وانظر أيضاً: نيكيتا أليسييف: السلطان نور الدين, ص400-402؛ صلاح الدين البحيري: "المخابرات الإسلامية في مواجهة الصليبيين", ص36.
- (123) Richard (J.), Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 55; Hamilton , The Leper King, p. 87
- (124) كان صلاح الدين في ذلك التوقيت مشغولاً بثورة في صعيد مصر بزعامة رجل يدعي كنز الدولة. عن هذه الثورة بالتفصيل. راجع: أبو شامة: الروضتين, ج2, ص337-

- 339؛ ابن الأثير: الكامل، مج 11، ص 414؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 47-48. وانظر: Reinaud (M.), *La Vie De Saladin*, pp.9-10.
- (125) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج 4، ص 177.
- (126) Graham A. Loud, *Norman Italy*, In: H.H., p.51. Helene Wieruszowski, *The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades*, in: Setton , vol. II, pp. 34-36 ; Grousset, *Histoire de Croisades*, Vol. II , pp. 618-619; Archer and Kingsford, *The Crusades*, p. 248 .
- (126) مالكوم ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين، ص 139-143 .
- (127) مدينة تيس: مدينة مصرية تقع غرب دلتا النيل، وكانت من المراكز التجارية الهامة في مصر. انظر: المقرئزي: الخطط، ج 1، ص 291-292.
- (128) Wieruszowski, *The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades*, in: Setton, vol. II, p. 36. وانظر للمزيد: المقرئزي: الخطط، ج 1، ص 291-292.
- (129) Wieruszowski, op. cit., vol. II, p. 36. Wieruszowski, *The Norman Kingdom of Sicily and the Crusades*, in: Setton, vol. II, p. 36.
- (130) Ernoul, *Le Chronique*, pp.53-54.
- (131) Ernoul, op. cit., p.54.
- (132) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج 4، ص 237 .
- (133) نفسه، ج 4، ص 237. وانظر أيضاً :
- Ernoul, *Le Chronique*, p. 54.
- (134) وليم الصوري: المصدر السابق، ج 4، ص 237.
- (135) ابن الأثير: الكامل، ج 11، ص 144؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 64؛ ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق 1967م، ج 3، ص 36. وانظر :
- Ernoul, op. cit., p. 32
- (136) الحروب الصليبية، ج 4، ص 200.
- (137) Mayer, Henry II, p. 725.

هنا يجب التذكير بأن الملك بلدوين الرابع كان مريضاً بالجذام، وفي مثل ظروفه يمكن وضع المراهنات على حملة هنري الصليبية، ليحل محل الملك المجذوم، أو يخلفه في حالة وفاته. وهذه كانت لعبة سياسية مفضلة في الشرق، وكذلك في أوروبا لسنوات عديدة. أنظر:

Mayer, op. cit., p. 725-726.

(138) The Annals of Roger de Hoveden, vol. I, p.438.

(139) كانت آخر مرة قدم فيها فيليب كونت فلاندرز إلى مملكة بيت المقدس بعد سقوط حارم في يد نور الدين محمود في الحادي عشر من أغسطس سنة 1165م وذلك من أجل مساعدة الملك عموري الأول في استرجاع حارم، لكن الجهود التي بذلت من أجل ذلك لقت الفشل الذريع وعلى إثرها عاد كونت فلاندرز بحملته إلى بلاده. انظر: محمود سعيد عمران: معركة حارم "التحالف البيزنطي الصليبي الأرميني ضد نور الدين"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثامن، بغداد، ص 91.

(140) Hamilton, The Leper King, p. 119.

(141) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص 200. وأنظر:

Ernoul, Le Chronique, p. 32.

(142) Archer and Kingsford, The Crusades, p.254.

(143) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص 200-201، 205. وانظر:

Grousset, Histoire de Croisades, Vol. II, pp. 654-655.

(144) وليم الصوري: المصدر السابق، ج4، ص 201.

(145) Ernoul, op. cit., pp. 33- 34.

(146) وليم الصوري: المصدر السابق، ج4، ص 206؛ حسن عبد الوهاب حسين: "أثر

العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية منذ الحملة الأولى حتى معركة حطين (1097-

1187م/490-583هـ)، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب

الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1997م، ص 309. وانظر:

Gibb (H.), "The Rise of Saladin," in Setton, Vol. I, p.

571; Baldwin, "The Decline", Vol. I, pp.594- 595.

(147) وليم الصوري: المصدر السابق، ج4، ص 206.

(148) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص 207.

(149) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص 180-181.

- (150) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص 182-183.
- (151) مالكوم ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص 154-155.
- (152) ابن الأثير: الكامل, ج 11, ص 202.
- (153) حسين عطية: المرجع السابق, ص 183.
- (154) ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, ج 3, ص 340.
- (155) ابن العديم: زبدة الحلب, ج 3, ص 34-35.
- (156) ابن شداد: النوادر السلطانية, ص 53؛ أبو شامة: الروضتين, ج 2, ص 469.
- (157) ابن الأثير: الكامل, ج 11, ص 202؛ حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص 183-184.
- (158) حسين عطية: المرجع السابق, ص 184.
- (159) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج 4, ص 210.
- (160) نفسه, ج 4, ص 210-211.
- (161) ابن العديم: زبدة الحلب, ج 3, ص 35.
- (162) ابن الأثير: الكامل, ج 11, ص 201؛ ابن العديم: المصدر السابق, ج 3, ص 26؛ ابن واصل: مفرج الكروب, ج 2, ص 26؛ المقرئزي: السلوك, ج 1, ص 65.
- (163) مالكوم ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين, ص 155.
- (164) نفسه, ص 155.
- (165) كان قد تم الاتفاق في أنطاكية بخروج الحملة الفلمنكية الى حارم على أن يلحق بها بوهموند الثالث بالقرب من حارم. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج 4, ص 211-212.
- (166) ابن العديم: المصدر السابق, ج 3, ص 25-26.
- (167) أبو شامة: الروضتين, ج 2, ص 470.
- (168) ابن العديم: المصدر السابق, ج 3, ص 36؛ ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, ج 3, ص 340.
- (169) ناقش الأستاذ الدكتور حسين عطية آراء المؤرخين في تحديد بدء حصار الحملة الفلمنكية لحارم. انظر: حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص 185.

- (170) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص212.
- (171) ابن العديم: زبدة الحلب، ج3، ص36.
- (172) وليم الصوري: المصدر السابق، ج4، ص212؛ ابن العديم: المصدر السابق، ج3، ص36؛ حسين عطية: المرجع السابق، ص185.
- (173) ابن العديم: المصدر السابق، ج3، ص37.
- (174) وليم الصوري: المصدر السابق، ج4، ص224.
- (175) ابن العديم: المصدر السابق، ج3، ص37.
- (176) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص224؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج3، ص37؛ حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص186.
- (177) أبو شامة: الروضتين، ج2، ص471.
- (178) ابن العديم: المصدر السابق، ج3، ص37-38.
- مالكوم ليونز وديفيد جاكسون: صلاح الدين، ص156.
- (179) أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص471؛ ابن العديم: المصدر السابق، ج3، ص37-38؛ حسين عطية: المرجع السابق، ص186-187.
- (180) Grousset, Histoire de Croisades, Vol. II, pp. 646.
- (181) ابن الأثير: الكامل، ج11، ص201.
- (182) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص189-190.
- (183) باركر: الحروب الصليبية، ص53.
- (184) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج4، ص181؛ السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط. الإسكندرية 1966م، ص157.
- (185) عنها أنظر: محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي - الإعاقة - الكاريزما - المرض، ط. القاهرة 2014.
- (186) Gordon H. Pirie, "The Reigning Princes of Galilee", E.H.R., Vol. 27, No. 107 (Jul., 1912), p. 455.
- (187) Rey, Les Colonies, p. 375 ; Baldwin, Raymond III of Tripolis, p. 17.
- (188) Gordon, op. cit., p.

- (189) Baldwin, Raymond III of Tripolis , p. 29
(190) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص194-195. وانظر أيضاً:
Richard (J.) , Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 55.
(191) رانسمان: تاريخ الحروب الصليبية, مج2, ص662؛ ملكوم كامرون ليونز وديفيد
جاكسون: صلاح الدين, ص98. وأيضاً انظر :
Grousset, Histoire des Croisades, Vol. II , p. 632-633;
Richard (J.), Le Royaume Latin de Jérusalem p. 55
(192) Gordon, "The Reigning Princes of Galilee",
E.H.R., p. 456; La Monte, Feudal Monarchy, p. 28.
(193) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص253.
(194) Gordon, op. cit., p. 456
(195) Ernoul, Le Chronique, pp. 51-52; Felix Fabri, the
Book of the Wanderings, p. 626 Michaud, Histoire des
Croisades, Vol. II, p. 251.; Conder, The Latin Kingdom
of Jerusalem , pp. 138-139.
(196) ابن الأثير: الكامل, ج11, ص210.
(197) Gordon, "The Reigning Princes of Galilee",
E.H.R., p. 456.
(198) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص271.
(199) Baldwin, "The Decline and Fall of the Jerusalem",
Vol. I, p. 598.
(200) وليم الصوري: المصدر السابق, ج4, ص272.
(201) نفسه, ج4, ص272.
(202) نفسه, ج4, ص272.
(203) رانسيومان: تاريخ الحروب الصليبية, مج2, ق2, ص688.
(204) وليم الصوري: المصدر السابق, ج4, ص332. انظر:
Gordon, "The Reigning Princes of Galilee", E.H.R.,
p. 457
(205) Grousset, Histoire des croisades, vol., II, pp. 612-
613; Hamilton, The Leper King, p. 89.

(206)Grousset, op. cit., vol., II, pp. 612-613; Hamilton, op. cit., p. 89 .

(207) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص197-198.
(208) سبيل: شقيقة زوجة صاحب حصن بزيرة, والذي يقع على بعد خمسة وأربعين كيلو مترا شرقي اللاذقية, وكانت سبيل هي ثالث امرأة يرتبط بها بوهموند الثالث. فقد تزوج من قبل عام 1170م من أورجو جليوزا Orgogliosa ابنة وليم فرزنل W. Fresnel سيد حارم في ذلك الوقت, ثم تزوج في سنة 1175م من ثيودورا كومنين. انظر: حسين عطية: المرجع السابق, ص198.

- (209) ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, ج3, ص352.
(210) ابن الأثير: الكامل, ج12, ص8؛ حسين عطية: المرجع السابق, ص198 .
(211) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص263-264.
(212) ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, ج3, ص352.
(213) حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون, ص199.
(214) وليم الصوري: المصدر السابق, ج4, ص265.
(215) نفسه, ج4, ص265؛ ميخائيل السرياني: المصدر السابق, ج3, ص352؛ حسين عطية: المرجع السابق, ص199.
(216) وليم الصوري: المصدر السابق, ج4, ص266-267.
(217) وليم الصوري: الحروب الصليبية, ج4, ص266.
(89) نفسه, ج4, ص266-267؛ ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني, ج3, ص352.
(219) روبين الثالث: صاحب أرمينية الصغرى التي تأسست في جبال طوروس تقريبا 1071م على يد روبين الأول. انظر: وليم الصوري: المصدر السابق, ج4, ص337, هامش 19.